

دراسات في

مسارات المجتمع والحضارة

رؤى معاصرة على ضوء القرآن

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

دراسات في

مسارات المجتمع والحضارة

رؤى معاصرة على ضوء القرآن

محمود الموسوي

دراسات في مسارات المجتمع والحضارة رؤى معاصرة على ضوء القرآن

المؤلف : محمود الموسوي

www.mosawy.org

الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧

جميع الحقوق محفوظة

إخراج الكتاب

الغدير جرفكس - مملكة البحرين

هاتف : ٩٧٣ ١٧٥٥٠٤٦٦ +

www.alghadeer.net



المقدّمة

تساقط بكثافة التساؤلات المعاصرة التي تعبّر عن تحديات حضارية جديدة على المجتمع ، كقاعدة تتحرّك فيه كل أدوات الأفعال و تجوب في رحابه كل المقاصد من كل الجهات الفاعلة في الحياة ، وهذه الكثافة في التساؤلات ، إنما هي ابتلاءات فرضها الواقع الجديد الذي تعيشه الأمم جرّاء الحركة الحضارية وتحولاتها ، ولا شك أن الحاجة ماسّة للبحث عن إجابات ومعالجات جديدة لكل ما هو جديد ، لكي يتمكن الإنسان من مواجهة الصعوبات والتحديات ، ولكي يتمكن من أن يتفاعل مع المستجدات ، بل لكي يصل بالتالي إلى التأثير الإيجابي في اتجاهاتها.

هذه النتيجة هي التي انتهت إليها الكثير من قراءات المفكرين والباحثين و المراقبين للحال الراهن ، وهذا وإن كان متمخّضاً عن قراءة واقعية و ناضجة للراهن ، إلا أنه يفتقر إلى البعد الأهم من هذه النتائج ، إذ أن غاية ما تنتهي إليه هذه

الرؤى هو أننا بحاجة إلى إجابات جديدة تحاكي التحديات الجديدة في أفقها وعمقها، إلا أن السؤال الأهم، هو ماهية تلك الاجابات ونوع تلك الاستجابات.

والماهية التي نقصدها تتمثل في البعد الذي يضمن صحّة المسار وصدقية الحلول والاجابات، فنحن لسنا بحاجة لفعل يملئ الفراغ بقدر ما نحن بحاجة إلى فعل صحيح وقويم، يضعنا بدوره في المسار المستقيم الذي لا يزيغ بسالكه.

ونحن إذ نقدّم القرآن الكريم كمصدر للإستلهام والاسترشاد، فلأنه النور الذي بعثه الله تعالى وأنزله على نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله) وفيه الحكمة وفيه النور والهدى والبصائر وفيه الشفاء والرحمة والموعظة الحسنة وفيه الرشد والقوامة، وهو الذي يبشّر بالحياة الطيبة.

هذه هي مضامين آيات الكتاب العزيز لكل جهات الحياة، وهي تدعو لمسارات قويمه، وهذا ما يجعلنا أمام حقيقة مهمة، هي أننا آمنّا بهذا القرآن الكريم، وبأنه منزل من إله عليم خبير حكيم، وفيه شفاء للمجتمعات، فلا بد أن نكون صادقين

مع أنفسنا في هذا الإيمان ، الذي يدعونا إلى الإنفتاح على القرآن الكريم ليس في جانبه الفردي وحسب ، بل في جانب معالجاته الحضارية التي تتصل بهموم الأمة وما يجري عليها من تحولات ذات الأثر الكبير ، فإن القرآن جاء لينهض بالأمة وجاء هدى و بشرى للعالمين وفيه شفاء دائهم .

فمن الأهمية بكان أن نعتمد على نور القرآن في دراساتنا المعاصرة ، و علينا أن نعيد الثقة بما يعطينا القرآن من معالجات ونقدّمها للعالم كاستفادات من الهدى الالهي . إن هذا المنحى هو الذي اعتمده هذا الكتاب ويؤكد عليه عبر اشتغاله بالدراسات المعاصرة مستلهماً بهدى و بصائر القرآن الكريم .

وكانت هذه الدراسات هي عبارة عن مشاركات مني في عدّة محافل علمية ، في مؤتمرات و ندوات ، و قد نشر أغلبها في مجلة البصائر الدراساتية ، و أسأل الله تعالى أن تنال القبول ، والله من وراء القصد .

السيد محمود السيد عدنان الموسوي

بني جمرة / البحرين

٢٠٠٦/١٢/٧ م

القرآن و حرية المجتمع ..
إشكاليات الواقع المعاصر
(التدين مثلاً)

القرآن و حرية المجتمع.. إشكاليات الواقع المعاصر (التدين مثلاً)

إن الاحساس بالحاجة للحرية لدى الإنسان هو إحساس فطري ، وهو شعور جامع مودع في الإنسان وله دافعيته التي تشور باتجاه الانعتاق من الأغلال والآصار ، لذلك فإن مبحث الحرية بالنسبة لهذا الإنسان الذي يشعر بهذا الشعور الجامع والمدرّك لهذه الحاجة الكبرى ، هو مبحث ذو أهمية كبرى ، و لذلك جاءت الشرائع والنظم والمناهج الجديدة التي تروم تغيير واقع الإنسان لتتحدّى واقعاً لا يأبه بهذا الشعور ولا يضبط منحاه ، سواء بالإفراط أو بالتفريط ، و يراهن المصلحون عادة على حقيقة أساسية ، هي أنهم يمتلكون البرنامج الذي يكفل لهذا الإنسان إشباع هذه الحاجة بأفضل وسيلة ، ابتداء بالآديان السماوية على أيدي الأنبياء ومروراً بالأوصياء ، و انتهاء بالثورات

والحركات النهضوية في العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وما زال حديث الحرية يجد له أكفأ مبسوطه ، وأعناقاً مشرئبة ، وقلوباً لهففى ، فكلما عانى الإنسان من ظلم أخيه الإنسان ، تشوّق لبصيص من الحرية ، وكلما حصل على نور خافت منها ، اشتاق للمزيد ، كل ذلك لأنها مخلوقة مع الإنسان ، إلا أنها فقدت بعد ولادته .

عندما تتصل الحرية بالمجتمع ، فهذا يعني أن تكون لها حيوية متصلة بجميع مفاصل الحياة بإعتبارها فعل دائم لكل فرد فرد في المجتمع ، وهذا ما يستدعي وضوح في الرؤية لتحديد شخصيتها الاعتبارية ، عبر تحديد ماهيتها و مساراتها وحركتها ، وقد جاء القرآن الكريم ليعطينا بصيرة نافذة تؤسس لحركة الحرية وتفاعلاتها في الاجتماع الإنساني ، عبر نسيج من الآيات المباشرة وغير المباشرة ، باعتبار أن القرآن الكريم (يصدّق بعضه بعضاً) ، فكل أمر أو نهى في أي جانب من جوانب الحياة في القرآن الكريم ، إنما يكمل التشريعات المتباعدة الأخرى ، وكل تلك التشريعات والتفريعات تنسجم مع الآيات التي تؤسس



للقواعد العامّة في عملية (تصديقية) ، يمكن الخروج من خلال فهمها وربطها ببعضها برؤية واضحة ومتكاملة ، هذا ما سننتهجه في قراءتنا للنص القرآني المبارك ، لتكوين تصوّر لحرية المجتمع في جانبها الديني على الأخص.

الحرية المطلقة

من الخطورة بمكان أن تخلّى دعاوى الحرية دون ضوابط و دون منهاج يرسم دربها ويحدد مساراتها ، فإن تخليتها دون ذلك ، سيولد لنا حالة من الإباحية المطلقة (إباحية الاعراض) ، (إباحية الأموال) ، (إباحية الأفكار) ، (إباحية الفتك) ، ويمكن أن نستظهر هذه الحالة في فعل (الإسراف بمفهومه القرآني) بمحتواه العام الذي يشمل كافة مناحي الحياة ، باعتبار أن الإسراف هو حالة من الإفراط في الحاجات الإنسانية ، وهو تطبيق عملي لحركة الحرية المطلقة في المجتمع ، فقد جاء في الآيات التالية:



١ / في الأكل والشرب ومظاهر الحياة.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف : ٣١.

٢ / في القتل.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء: ٣٣.

٣ / في الحكم والإدارة.

﴿فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يونس : ٨٣.

٤ / في الالمبالاة في الأفكار.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ غافر : ٣٤.



٥ / في الجنس والشذوذ.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ الأعراف : ٨١.

و من مجموع هذه الآيات القرآنية الشريفة يتضح لنا أن هذه الحالة من الإباحية المطلقة ، تسبب فساد النظام العام للإنسان على الصعيد الفردي والاجتماعي ، وهذه الحقيقة حقيقة وجدانية إذ لا يمكن أن يُعطى كل شخص الحق المطلق في التصرف بما شاء وفيما شاء وأينما شاء ووقتما شاء ، بإسم ممارسة الحرية ، لأن هذا المبدأ هو إلغاء واضح لحرّيات الآخرين ، حيث سيضطدم الفعل المطلق لا محالة بحرّيات الآخرين وبحقوقهم ، باعتبار أن الفرد يعيش ضمن المجتمع ويتفاعل معه ، هذا من ناحية مراعاة النظام الاجتماعي كما هو في (القتل) و (الظلم) و (الاعتداء الجنسي) ، ومن ناحية أخرى فإن إطلاق العنان للحرية له تأثير على الفرد نفسه حتى لو لم يكن في محيط اجتماعي ، كما هو الحال في (الأكل والشرب) و (الشك والريبة) .



كبت الحرية

وكذلك الحال عندما يسعى الإنسان إلى كبت شعور التحرر والانعقاد من الأغلال ، حيث يسعى للتقييد والضغط وواد الفعل الإنساني في شتى مناحي الحياة و في جميع صوره وتمثلاته ، و كافة مستوياته ، فإن له آثاراً سلبية من شأنها أن تضيق على الإنسان فسحة العيش التي منحها الله تعالى له ، وتتلف شعوره و رغباته التي زوده الله تعالى بها ، ويمكن أن نستخلص هذه الحالة من القرآن الكريم في حالة (التحريم) التي مارسها الإنسان على نفسه تبرعاً واجتهاداً ، باعتبارها حالة من التضيق على النفس ، وفيها فعل الكبت و تقييد للرغبات الفطرية المخلوقة مع الإنسان ، يقول تعالى :

١/ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف : ٣٢ .

٢/ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا



بَغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ
ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿الأنعام : ١٤٠﴾

٣/ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ
مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ﴾ المائدة : ٨٧.

فإن الخالق جل وعلا عندما خلق الإنسان وخلق معه
الشعور بالحرية أعطاه في ذات الوقت ما يلبي هذه الحاجة ، فلا
يمكن للإنسان أن يحرم على نفسه تلك المباحات ويكبت ذلك
الشعور.

فالفكرة الأساس التي ينطلق منها القرآن الكريم ويثبتها
في العقول كأصل لفهم أي فكرة بعد ذلك في مجال الحرية ،
هي أن الإنسان ليس من صالحه كفرد وليس من صالح مجتمعه
أن يعيش الإنفلات وممارسة الحرية المطلقة ، وليس له أيضاً أن
يكبت ما وهبه الله تعالى في المقابل ، ليؤسس القرآن الكريم
بذلك لفكرة الاعتدال في ممارسة الحياة ، كما قال تعالى تعبيراً
عن الحالة الاقتصادية :



﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. الفرقان: ٦٧

فإن روح مبدأ الحرية هو حركة الاعتدال في الحياة ، التي
تنصف الآخرين وتتعامل مع الأشياء بالنظر لحقوقها واحتياجاتها
، كما يقول عز وجل في التعامل مع النعم :

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ
مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا
أَثْمَرَ وَاتُّوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. الأنعام : ١٤١ .

المجتمع الحر

اهتم القرآن الكريم بتكوين مجتمع حر كريم ، ووضع
سمة الحرية ضمن سمات المجتمع الحضاري والمتمدن الذي
يدعو لاقامته الإسلام عن طريق الرسول الأعظم (صلى الله
عليه وآله) ، واعتبرها أصلاً من أصول المجتمع الحي ، وعندما



تتكوّن تلك الصفة فيه فإنها تخلق فيه روح النهوض والتقدّم ،
فلكي يكون المجتمع حيّاً وذا شخصية نابضة عليه أن يستجيب
لدعوة الله تعالى والرسول الأعظم (ص) ، كما قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ
الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ﴾ الأنفال : ٢٤ .

فحياة المجتمع ورفيّه تتكوّن عبر صياغته وفقاً للدعوة
القرآنية التي جاء بها الرسول (صلى الله عليه وآله) في الآية
الكريمة التالية :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف : ١٥٧ .



فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يدعو لتكوين مجتمع يمارس فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم كل ما خبث، إضافة إلى ذلك فإنه ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ تعبيراً عن مبدأ الحرية وسيادتها في المجتمع، وتخليصه من الآصار والأثقال النابعة من النفس والذات، وتحريره من الأغلال والقيود التي تكبل حريته التي خلقه الله عليها، ولكي نستظهر تعبير (الأغلال) وكيفية حركتها وتأثيرها على المجتمع، نقرأ قول الله تعالى :

﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ غافر : ٧١ .

فالأغلال الاجتماعية هي كالسلاسل المطوقة لأعناق الناس تسحبهم كرهاً وجبراً نحو ما لا يريدون، فالحرية هي إزالة هذه الأغلال لكي ينطلق المجتمع باتجاه إرادته التي يختارها وفقاً للمبنى الذي أشرنا إليه، وهي الحرية التي تلبي رغبات الذات ولا تلغي حريات الآخرين، لأن (الحرية في الواقع تتمثل في



حفظ حرّمات الآخرين. فحريتي تكون حقيقية وواقعية حين يحترم الآخرون حقوقي، ويحترمون شخصيتي وكرامتي. لذلك لا يستخدم الإسلام كلمة الحرية الا قليلا وانما يستخدم الجانب الآخر للحرية وهو عبارة الحرمة ومشتقاتها، فيقول.. حرّيم الإنسان، وحرّيم البيت، وحرّم الله، وحرمة الاعتداء. فالحرية تتبدل في مفهوم الإسلام إلى الحرمة، لأن الحرمة هي التي تحافظ على الحرية. وحينما يحافظ الناس على حرمة البيت، والشارع، والمدرسة، والسوق فمعنى ذلك أنهم يحافظون على حرية الأفراد، ومن هنا سُمّيت مكة المكرمة حرماً آمناً، لأن حرية الإنسان فيها مضمونة ولا يمكن لأحد أن يعتدي على حقوق الآخرين). ١.

فالحرية هي من أهم السمات الحضارية للمجتمع الإسلامي الناهض، لذلك أكّد عليها القرآن الكريم، وعالج مشكلاتها المرتبطة بالأصّار النفسية، وهي عبارة عن الأمراض النفسية وثقافة الواد و وساوس النفس الداعية إلى العبودية

١ / المجتمع الاسلامي ج٢ (القيادة السياسية في المجتمع الاسلامي) آية الله

العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ص٨٦



للذات والشهوات ، وعالج مشكلات الكبت التي يمارسها الطواغيت ، ودعى للكفر بالطاغوت ورفضه ، و مجابهته باعتباره معيقاً لحركة المجتمع وفاعليته ، وحرية المجتمع بهذا المعنى الذي ينظر فيه إلى الشقين :

الأول : (الأصار النفسية) كما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : (لا يسترقنك الطمع وقد جعلك الله حرّاً) ، وقال (ع) : (لا تكونوا عبيد الأهواء والمطامع) ٢ .

والثاني : (الأغلال الخارجية) ، هي الميزة التي امتازت بها دعوة القرآن الكريم عن دعوات التحرر التي انطلقت في مسيرة الإصلاح الإنسانية التي تمثلت في الحركة الليبرالية ضد استعباد الكنيسة والسلطات الحاكمة ، والتي نتجت عنها موثائق حقوق الإنسان ، و تعاريف المفكرين ، كما يقول (برتراند راسل) على سبيل المثال بأن (الحرية بشكل عام يجب أن تعرف على أنها غياب الحواجز أمام تحقيق الرغبات) ٣ .

٢ / غرر الحكم ، ج ٢ ، ٢٢٩ ، / ١٦٦ و ص ٢٤١ / ٢٧١

٣ / ضد الاستبداد / فاض الصفار ، ص ١٢٧



(وبهذا يكون مفهوم الحرية في الإسلام وان اشتراك في بعض مصاديقه مع الحرية عند الديمقراطيين إلا أنه أوسع وأشمل وأتم منه إذ إنه لا يكتفي بتحرير الإنسان خارجياً وجسدياً ومنحه حقه الطبيعي في العيش بسلام وحرية في الكلمة والتجمع والسفر ولو كانت على حساب الروح والنفس وغيره ، بل يتوسّع ويرقى لتطهيره ويزهه روحياً ونفسياً ويهذب سلوكه وطباعه ثم يتركه حراً في الخارج ، أيضاً يمارس ارادته ويختار مصيره بحرية واستقلال) ٤.

اشكاليات الواقع المعاصر

أمام هذا الوضوح في الطرح القرآني لمبدأ الحرية وأهميته بالنسبة للجتمع ، إلا أن هنالك إشكاليات تثار حول مدى واقعية هذا الطرح ، ومدى مصداقيته ، خصوصاً أمام الحالة التي يعيشها العالم الإسلامي في الوقت الراهن ، من ممارسات تشوّه هذا المبدأ ، وتعزّز مقولات الإكراه والفرص ، إلا أننا لا يمكن أن نأخذ كل ما قد يثار على محمل الجد ، لأن أكثر الدعاوى إنما

٤ / ضد الاستبداد / فاضل الصفار ، ص ١٣٤



تنطلق من جهات غير منصفة للفكر الإسلامي ، بل من جهات قد تكون لها مآرب أخرى غير فكرية (سياسية أو اقتصادية) ، خصوصاً إذا ما قرأنا التاريخ الذي ينبؤنا بالممارسات التاريخية الشاهدة على ظلم الآخر وسبل وأده للحريات ، فعلى سبيل المثال (تعتبر القرون الوسطى مثلاً على ما عانتها الشعوب الأوربية التي رزحت تحت نير الإرهاب و القمع الفكري باسم الكنيسة ، حيث سنّ الملك (شارلمان) قانوناً يقضي بإعدام كل من يرفض أن يتنصّر - أي أن يصبح نصرانياً - ولما قاد حملته القاسية على السكسونيين والجرمان أعلن أن غايته إنما هي تنصيرهم .

ولحاكم التفتيش التي أنشأتها الكنيسة في تلك العصور سمعة سيئة وسجلاً قائماً مظلماً ، فقد اجتهدت في فرض آراء الكنيسة على الناس باسم الدين والتنكيل بكل من يرفض أو يعارض شيئاً من تلك الآراء ، فنصبت المشاقق وأشعلت النيران لا حراق المخالفين ، ويقدر أن من عاقبت هذه المحاكمة يبلغ عددهم (٣٠٠٠٠٠) وأحرق منهم (٣٢٠٠٠) أحياء كان منهم



العالم الطبيعي المعروف (برونو) ، نقت الكنيسة منه نتيجة لآرائه المتشددة ، والتي منها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل ، وهكذا عوقب العالم الطبيعي الشهير (غاليلو) بالقتل ، لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس .

وكانت المسيحية قد فرضت فرضاً بالحديد والنار ووسائل التعذيب والقمع التي زاولتها الدولة الرومانية بمجرد دخول الإمبراطور قسطنطين في المسيحية ، بنفس الوحشية والقسوة التي زاولتها الدولة الرومانية من قبل ضد المسيحيين القلائل من رعايا الذين اعتنقوا المسيحية اقتناعاً وحباً ، ولم تقتصر وسائل القمع والقهر على الذين لم يدخلوا المسيحية ، بل إنها ظلت تتناول في ضراوة المسيحيين انفسهم الذين لم يدخلوا في مذهب الدولة ، وخالفوها في بعض الاعتقاد بطبيعة المسيح) ٥ .

الإشكاليات التي تواجه الممارسات الإنسانية على وجه الأرض ، هي إشكاليات عامة تشمل الجميع فلا تختص

٥ / حرية المعتقد في الإسلام و القانون ، أمير موسى بو خمسين ، مجلة الكلمة العدد ٤ ، السنة الأولى ، صيف ١٩٩٤م / ١٤١٥هـ .



بممارسات المسلمين في بلادهم دون غيرهم ، خصوصاً إذا عرفنا أن المشهد في الجانب الإسلامي ليس أكثر من الجانب الغربي والمسيحي في ممارسة الظلم والاضطهاد واستعباد الناس ، فالباحث المنصف هو الذي يدرس الظاهرة بتجرّد وموضوعية ، فنحن لا يمكن أن نجعل الكثير من الإشكاليات المعاصرة بخصوص الحرية في المجتمع الإسلامي كعماد للبحث ومزاولة الأخذ والرد ، والنقد والإبرام .. وإنما نسلط الضوء على إشكالية تمسّ الانحراف الفكري الذي أصاب بعض المنتسبين للإسلام من خلال القراءة الدينية المجتزئة للنصوص القرآنية المباركة ، لمعالجتها على ضوء هدى القرآن الكريم ، ففي الوقت الذي نستبعد الإشكاليات المتحاملة من قبل الآخرين ، لا ننفي وجود خلل في المشهد الإسلامي بخصوص التعامل مع مبدأ الحرية (الدينية على الخصوص) وفهمه ضمن سياقات الدعوة الإلهية للدين الحق ، فهناك بالفعل خلل أصاب الحكام الذين حكموا بالنار والحديد ، وهذا لا يرتبط ببحثنا ، وخلل أصاب بنية التفكير الديني في قراءة النصوص القرآنية ، من قبل مجاميع من



الحركات المنتسبة للإسلام ، والتي عاثت في البلاد التضييق والقتل لكل من يخالف رأيها دينياً ، فالقتل في قاموسهم يكون للإنسان ذي الدين الآخر بوصفه (كافراً) و لذي المذهب المغاير بوصفه (مشرکاً) ، وقد مارست بعض الجماعات عبر تجارب سياسية عديدة ، الاكراه والارغام للمجتمع ليطبّق ما يروونه من أحكام دينية ، حتى لو لم يكن يؤمن بها أصلاً ، وهذا السلوك أنتج حالة من التشويه للدين وأسس رأياً عاماً سلبياً في المناطق الغربية حول الإسلام ، فقد (أظهر استطلاع للرأي أجراه معهد (بيو) الدولي للأبحاث (أن غالبية الأمريكيين والأوروبيين قلقون ازاء تزايد التطرف الإسلامي حول العالم) معتبرين (الإسلام أكثر الأديان عنفاً).

وشمل الاستطلاع ١٧ دولة منها ٦ دول ذات غالبية مسلمة وهي لبنان وأندونيسيا والمغرب والأردن وباكستان وتركيا ، وشارك ١٠٠٠ مواطن من كل دولة .
وأبدى ٢٢٪ من الأمريكيين الذين تم استطلاعهم (نظرة سلبية عن الإسلام) مقابل ٥٧٪ (عبروا عن نظرة ايجابية) .



وذكر ٣٤٪ من الفرنسيين المستطلعين (أن لديهم نظرة سلبية) مقابل (٦٤٪ ايجابية).

وأعرب غالبية الأوروبيين والمشاركين في الاستطلاع عن (الشعور بتصادم الهوية الإسلامية في بلادهم) معتبرين ذلك (سيئاً لمستقبلها) فيما أكد ٨٤٪ من الروس و ٧٨٪ من الألمان و ٧٠٪ في كل من بريطانيا والولايات المتحدة (تزايد قلقهم من التطرف الإسلامي)٦.

و لعل معرفة (الحرية الدينية) من خلال القرآن الكريم ، هو السبيل لمحو هذا التصور القائم للأسلام والمسلمين في أعين الآخرين ، وتساهم هذه المعرفة في بناء ثقافة واضحة لا لبس فيها لأبعاد هذه الحرية ومدياتها.

الحرية الدينية

الحرية الدينية هي أن للفرد الحق في اختيار ما يعتقد به من دين من دون إكراه على اتباع دين دون آخر ، لذلك

٦ / النبأ : مجلة شهرية ثقافية عامة ، العدد ٧٨ السنة الحادية عشر ، رجب ١٤٢٦ هـ ،



نفى القرآن الكريم الإكراه في الدين ، حيث قال : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة : ٢٥٦ .

إلا أن القرآن الكريم ينبؤنا بأن الدين الحق الذي جاء من عند الحق هو (الإسلام) ، وقد دعى القرآن الكريم لتبني العقيدة الإسلامية ، وإلى عبادة الله تعالى باعتبارها الغاية من الخلق ، وأن نتيجة انتهاج الإسلام ديناً هو الفوز في الدنيا والآخرة ، وأن رفض الدين الإسلامي لهو الخسران الممين ، هذه الحقائق تحدثت عنها الآيات الكريمة التالية :

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آل عمران : ١٩

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آل عمران : ٨٥ .
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات : ٥٦] .



كيف يمكن أن نفهم هذا التوجيه للإسلام كدين حق ،
في مقابل مبدأ الحرية الدينية في الاختيار؟

نجيب على هذا التساؤل من خلال وضع اليد على
أسباب الانحراف التي أصابت البعض في فهم (حقانية
الإسلام) والذي دعاهم لممارسات منافية لمبدأ الحرية ، و يبدووا
أن السبب في سلوك هذا المسلك هو الخلط بين مفهوم (التبليغ
والدعوة) من جهة و بين مفهوم (الهداية) من جهة أخرى ..

فالتبليغ مسؤولية الإنسان المسلم ، وهي وسيلة للوصول
إلى الهداية وهي الدخول في الدين الحق .

والهداية شأن إلهي خاص ، ليس لأحد التدخل فيه .

لذلك فقد مارس البعض ممارسات ليست من
شأنه ووكل نفسه عن الله تعالى في هداية الناس ، وكفروا
كل من لا يستجيب لطريقتهم وفهمهم للدين ، وعمدوا
بالتالي إلى ممارسة العقاب لكل هؤلاء ، بإصدار فتاوى القتل
أو الإرغام بقبول ما يعتقدونه حقاً ، بل ورأى بعضهم أن
آيات القتال في القرآن الكريم هي الآيات الحاكمة في مسألة



التعامل مع الآخر المختلف دينياً وعقيدياً ، وهي ناسخة
لآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ، وغيرها من الآيات الداعية
للسلم واللين ٧.

فعندما نفرّق بين مسؤولية الإنسان المسلم (الرسالية)
وهي تبليغ الرسالة عبر الوسائل القرآنية ، وبين الشأن الإلهي
المختص وهو الهداية وما يصاحبها من (عقاب وثواب) ، فإننا
بلا شك سنقف على رؤية واضحة توازن بين الإيمان برسالة
الإسلام كدين حق ، وبين الحرية الدينية التي ينبغي أن يمارسها
المجتمع.

مسؤولية التبليغ

لأن الدين الإسلامي هو الدين الحق ، وهكذا آمن به
الإنسان المسلم ، فقد كلفه الله تعالى بأن يؤدّي دوراً رسالياً تجاه
هذا الدين ، بأن يدعو إلى الدين ويبلغ الرسالة لبقية الناس ،

٧ / راجع كتاب (الحريات العامة في الدولة الإسلامية) للشيخ راشد الغنوشي ،
مركز دراسات الوحدة العربية. ط ١ ، ١٩٩٣ م.



لكي يدخلوا في رحمة الله تعالى ، حيث قال عز وجل :
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾
الأحزاب : ٣٩ .

ومن الطبيعي أن الإنسان إذا عرف الحق والخير، أن يدعو
الناس إليه ، ويوجه لهم النصح بأن ينتهجوا منهجه ويقتفون أثره
، خصوصاً إذا كانت له تبعات في الدنيا وفي الحياة الأخرى
الأبدية ، وهذه الدعوة هي لرفع حجب الجهل والغفلة عن عقل
الإنسان لكي تصل به إلى طريق الهداية التي عرفها من الحق
جل وعلا ، يقول تعالى :

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف : ٦٢ .

إلا أن هذه المسؤولية الرسالية الملقاة على عاتق الإنسان
المؤمن لها ألياتها المستفادة من هدى القرآن الكريم أيضاً ، و
ذلك لكي يكون تبليغ الحق عبر وسيلة الحق ، لا عبر وسيلة
أخرى غير منسجمة مع الحق ، وهي الدعوة بالأسلوب الحكيم



الذي يراعي مقتضيات الأحوال ويضع كل شيء في موضعه ،
ويستخدم الموعظة بالكلمة للوصول إلى قناعة بالدين ، يقول عز
من قائل :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

النحل : ١٢٥

وحتى إذا واجهت الإنسان المؤمن في طريق تبليغه
لِلرسالة المصاعب والصدود من الآخرين ، فإنه لا ينبغي له
تعدّي حدود مسؤوليته التبليغية ، حيث يقول تعالى :

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

النحل : ٨٢.

وقال جل جلاله :

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ
اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].



الهداية شأن إلهي

يقوم الإنسان بتبليغ الرسالة ، وتعبيد الطريق أمام الناس بالتبيين والإنارة ، ثم يأتي اختيار الإنسان الآخر لهذه الدعوة أو رفضها ، فإن قبلها فقد دخل في نور الهداية ، وإن رفضها فقد ضل عن سواء السبيل ، والهداية هي شأن إلهي يهبه الله تعالى لمن يؤمن بالبينات ، حيث يقول الله تعالى :

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ البقرة : ٢٧٢ .

فإن من يسعى للهداية ويستمع الحجة لكي يتبناها ، فإنه المهتدي ، ف ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر : ١٨ وتأكيذاً على أن الهداية من الله تعالى وأن مسؤولية الإنسان هي التبليغ ، ولا مجال فيها للقسر أو الاجبار ، يقول تعالى :

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ



بِمَصِطَرٍّ ﴿الغاشية: ٢٢، ٢١﴾، وقال جل شأنه: ﴿أَرَأَيْتَ
 مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
 الفرقان: ٤٣. وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
 الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ
 فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٥٦.

ثم أن الإكراه لا يتصور في تحقيق الإيمان ودخول الدين
 ، لأن الهداية من مختصات العقل والقلب ، وبهذا جاءت
 مجمل آيات الذكر الحكيم ، لتخاطب قناعات الإنسان وعقله
 من أجل الوصول إلى نور الهداية ، أمّا فعل الإكراه فهو ممارسة
 تهتم بالشكل والمظهر ، ففسر الإنسان للقول بفكرة أو عقيدة ما
 رغماً عنه ، ليس له ارتباط بالعقل والقلب ، فكل ما يتلفظ به
 أو يمارسه بعد ذلك لن يعدو كونه شكلاً من دون محتوى ، فلا
 يمكن إيصال الإنسان إلى حالة الهداية ليقبل بالدين عن طريق
 إكراهه على تبني عقيدة ليست من اختياره ، ولا يؤمن بها قلبياً
 ، ولذلك فإن نفي الإكراه في آية (لا إكراه في الدين) قد تكون



ناظرة لهذا الأمر ، فيكون النفي في الآية المباركة هو نفي للجنس ، أي أنه لا يتحقق في الخارج أصلاً ، لأن الهداية للدين هي من الله تعالى وموضعها القلب ، وليست من مختصات البشر .

(ولأن الهدى من الله تعالى ، وهو صنعه وفضله ، فليس على الرسول الا البلاغ لانه (صلى الله عليه وآله) لا يهدي من احب ، ولكن الله يهدي من يشاء ، حيث قال الله تعالى :

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القصص / ٦ .

(وبعد اتمام حجته البالغة على جميع خلقه ، وبعد توفير فرصة الهداية للناس على السواء ، فإن الله يهدي من يشاء وليس جميع البشر . (انما يهدي من اتخذ الى ربه سبيلا ، ويضيء قلب من اسلم وجهه لله ، واستجاب لدعوة رسله ، وأمن بقلبه). قال الله تعالى :

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الانعام / ١٤٩^٨

٨ / التشريع الإسلامي ، ج ٥ ، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي ، ص



وهكذا ينبغي للداعية ان يعرف حدود مسؤوليته ، وهي
ابلاغ الرسالة . (ثم لا يزعم ان عليه هداية الناس) . فالله
يخاطب رسوله (صلى الله عليه وآله) ويقول له :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَنْفُسِكُمْ وَمَا
تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴾ البقرة/ ٢٧٢

ولأن الهدى هو هدى الله . فإن الذين يجعلون انفسهم
معيارا للهداية ، ويزعمون ان من اتبعهم او اتبع دينهم هو المهتدي
انهم في ضلال بعيد . قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ
يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران/ ٧٣ .٩

٩ / التشريع الإسلامي ، ج ٥ ، آية الله العظمى السيد محمد تقى المدرسى ،



الحرية الدينية لا تعني التصويب

ويبقى أن الاعتقاد بأن للإنسان الحرية في اختيار دينه أو التزامه بتعاليم الدين عملياً ، لا يعني تصويب رأيه ، فإن الله تعالى خلق الناس متساوين في العقل و السمع والبصر ، و جعل لهم الخيار ، وبين لهم سبيل الحق وسبيل الضلال ، حيث قال عز وجل :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان: ٢، ٣ .

وقال تعالى : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد : ١٠ .

بل إن الله تعالى ألقى الحجة البالغة ، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ
الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأنعام : ١٤٩ ، بأن خلق
الآيات والعلامات الكونية الدالة عليه تعالى ، بما فيها من أسرار
الخلق وعجيب الصنع والحكمة في التدبير ، ثم جعل للإنسان
الأدوات الوسائل التي يستطيع من خلالها أن يهتدي بهذه
الكونيات ، كما جاء في سورة الشمس :



﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا @ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها @ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا @ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا @ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا @ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا @ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا @ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا @ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا @ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ .
وبعد ذلك كله يُترك واختياره ، ويتحمل عواقبه ، يقول

تعالى :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
يونس: ١٠٨ .



**إدارة الخلافات في المجتمعات الإيمانية
من منظور قرآني**



إدارة الخلافات في المجتمعات الإيمانية من منظور قرآني

عندما نلاحظ المجتمعات الإسلامية في كل مكان ، نكاد لا نستثني مجتمعاً واحداً من مشكلة النزاعات الاجتماعية والخلافات التي تنهك قوى المجتمع وتعيقه عن بلوغ تطلعاته ، وهذه المشكلة من المشكلات الأساسية لأنها مقدمة لمشكلات عديدة ، فهي مشكلة منتجة لعدة أزمات ، لذلك فإن إيلائها الأهمية من البحث في كيفية التعامل معها ، وسبل احتوائها يعتبر احتواءً لمشكلات عديدة ، بل هو بمثابة تعبيد الطريق لبدء مسيرة المجتمع مع ما يحمل من تطلعات ومشاريع ، فإن أصاب الطريق اعوجاج فإنه سيؤدي إلى هدف مغاير ، ونحاول في هذا المبحث أن نقرأ جانباً من المعالجة القرآنية لهذه الظاهرة من خلال قسم متسلسل من الآيات في سورة الحجرات ، من الآية التاسعة وحتى الثالثة عشر ، وهي تعتبر حكاية وعلاجاً لهذه



المشكلة الاجتماعية بصورة كلية ، لذلك فإننا نكتفي بسياقها
وبمدلولاتها من دون اللجوء إلى التفريع الكثير.
الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى
فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ
فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ @ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ @ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا
مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ
الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ @ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ
الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ



بَعْضُكُمْ بِغَضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ @ يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ❁ الحجرات : ٩ - ١٣ .

تكوين المجتمع الإيماني

لقد عبّر القرآن الكريم عن المجتمع المسلم بالأمّة الواحدة
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء : ٩٢
، حيث أن عبادة الله تعالى هي أساس الوحدة وهي التي
تكلّلها وترسم معالمها ، فمنها المنطلق وإليها المآل ، وهي الغاية
من الخلق كما قال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات : ٥٦ ، فهذه هي روح الأمّة الواحدة
التي يصوّرها القرآن الكريم ويدعو كافة المؤمنين إلى الانضمام
تحت لوائها وعدم التخلف عنها بالتفرّق عن الروح الإيمانية
العامة التي تكون المجتمع الإيماني من خلال عبوديته لله



الواحد القهار ، فالوحدة الإيمانية هي في ما يرتبط بأصل مبدأ الخلق والمنتهى إلى الله ، وبتعبير آخر هي الحركة التي تتولد في المجتمع بمنطلقات واحدة وغايات واحدة هي العبودية لله وصولاً لرضاه تعالى .

أمّا فيما بينهما من الأساليب ، والتوجهات والتخصصات فإن المجتمع الإيماني سيكون متعددًا ، إمّا من حيث الرؤية لموضوع واحد ، فتختلف الفئات والجماعات فيما بينها في الرؤى حول موضوع واحد لتعدد أفهامهم ، وإما في التعدد بمعنى التقسيم الذي ينظر للتخصصات المختلفة لتباين الزوايا التي ينظرون إليها ، أو ذلك التقسيم الذي ينظر إلى العلاقات الاجتماعية ككيانات وتجمعات ، كالعوائل والقبائل كتعدد طبيعي ، أو اختلاف مناطق السكنى والأوطان . كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة : ١٢٢ . تعبيراً عن التعدد في التخصصات والاهتمامات . وكما هي حالة : (المهاجرين



والأنصار والتابعين لهم بإحسان) التشيكالات المكوّنة في بداية بزوغ شمس الإسلام تعبيراً عن طبيعة المهام والأوطان والأزمان التي تملّي تكوينات ومجاميع لكل منها بمواصفات مشتركة تجمعها وتحدد كيانها وهي تنصهر كلها في عملية العبودية لله وتوحيده عز وجل ، والآية الكريمة التالية تعبّر عن هذه الحالة بكل وضوح ، قال عز من قال : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ الْحَشْرِ : ٨ - ١٠ .

وكل تلك التصنيفات الأخوية داخل المجتمع الإيماني الواحد قال عنها الله عز وجل : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۚ



الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: ١٠٠﴾

أصل الخلافات

ولأن المجتمع مكوّن من عدة تكوينات مختلفة، فإن
من الطبيعي أن ترد مسألة الخلافات فيما بينها، والقرآن
الكريم لا ينطلق بالضرورة من واقع كان موجوداً بالفعل، وإنما
قد يعالج مشكلات قد تكون مستقبلية للحفاظ على كيان
المجتمع الإيماني كرسيد معرفي ومرجعي لعلاج التصدعات
والإبتلاءات، و(قليل أنها - الآيات من سورة الحجرات - نزلت
في قتال حدث بين الأوس والخزرج .. بالسيف والنعال) ١٠.
وقد عبّر القرآن الكريم عن حالة الخلاف والنزاع في
مطلع الآيات موضع البحث بالإقتتال في قوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..﴾ إذ ليس المقصود بالضرورة هو الإقتتال

١٠ / تفسير الصايفي، للفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٥٠.



بإرادة القتل بالأسلحة الحربية ، وإن كان أحد مصاديقها هو ذلك ، لما ورد من أن تأويل الآية بعد الرسول هو في من سيقاتل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيشذ عن الحق كما في الكافي (إنما جاء تأويل هذه الآية يوم البصرة وهم أهل هذه الآية وهم الذين بغوا على أمير المؤمنين عليه السلام فكان الواجب عليه قتالهم وقتلهم حين يفيئوا إلى أمر الله ولو لم يفيئوا لكان الواجب عليه فيما أنزل الله أن لا يرفع السيف عنهم حتى يفيئوا ويرجعوا عن رأيهم لأنهم بايعوا طائعين غير كارهين ..) ١١ . فهذا وجه من وجوه الآية الكريمة وأحد مصاديقها وتأويلاتها ، ومن مصاديقها وتأويلاتها التي هي محط بحثنا هو الخلاف والنزاع والصراع بين الفئات والتجمعات والطوائف ، وقد استخدم القرآن الكريم لفظة الأقتال في وصف الخلاف في الرأي عندما يفترق الناس إيماناً أو كفراً حول مبدأ ما ، في قوله عز وجل : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ

١١ / تفسير الصافي ، للفيض الكاشاني ، ج ٥ ، ص ٥١ ، و الكافي ج ٨ ، ص ١٨٠



وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ
 اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة : ٢٥٣

بصائر من الآية :

اختلاف المؤمنين لا يخرجهم بالضرورة عن الإيمان.

١ / إن الطائفتين المقتلتين هما ضمن الدائرة الإيمانية ، وقد ناداهما الله عز وجل بـ (من المؤمنين) أي أنهما ضمن التكوين الاجتماعي للمجتمع الإيماني ، وهذه حقيقة ينبغي أن نؤكد عليها ، فلا يعني وجود الاختلاف أو الخلاف بين الفئات المتعددة بالضرورة خروجاً عن الدائرة الإيمانية ، فقد يحدث ذلك مع الإحتفاظ بالسمة العامة للإيمان بالله ، وفي الوقت ذاته قد يعبر بعض الخلاف عن شرخ في الإيمان ، إلا أن ذلك يعود إلى مدى إصابة الثوابت العامة للإيمان بذلك الخلاف ، أما مجرد الخلافات الاجتماعية والثقافية ضمن الدائرة الإيمانية فلا يستدعي خروجاً عنها.



قتل الشخصية اجتماعياً أعظم من قتل الشخص.

٢ / والاقتتال ، ليس بالضرورة هو محاولة القتل كما أسلفنا، بل هو عموم الصراع ، والصراع على أي حال يسعى لقتل الطرف الآخر معنوياً وهو ما يسمّى بقتل الشخصية ، بل إن قتل شخصية الإنسان أعظم من قتل شخصه ، على مستوى الأثر الاجتماعي ، فقد يقتل شخص وينتهي الأمر، ولكن قد تقتل شخصية أحدهم عن طريق تجريده من الإيمان بصورة من الصور، فيترتب على ذلك أثر نفسي واجتماعي أوسع من دائرة الفرد ، وهو ما يؤدي إلى حالة الفتنة بين الناس ، ولذلك قال عز وجل في كتابه الكريم حول أثر الفتنة : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ١٢ عمقاً وطولاً. و ﴿الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ١٣، سعة و عرضاً.

١٢ / البقرة : ١٩١

١٣ / البقرة : ٢١٧



للخلافات أثر على المجتمع كله ، والإصلاح بيد الأعيان
 ٣/ والصراع ، إنما يشترك فيه الجميع إلا أن الحلول غالباً
 تتم بين أعيان الطوائف والجماعات ، فإننا نرى أن الله تعالى عبّر
 بالثنائية بأنهما طائفتان ، ثم جمع اللفظ في (الفعل) اقتتلوا ،
 ثم ذكر الثنائية في الضمير (بينهما) في مسألة الصلح ، فالإقتال
 والصراع يشترك فيه الجميع ، ويمس مصالح الجميع ، إلا أن
 العلاج يكون بين الرؤس والأعيان في كلتا الجماعتين ، وهو ما
 يسهل عملية التفاهم والتعامل لمواجهة الخلافات الاجتماعية.

ممارسة الإصلاح

الخلافات إنما تحتاج إلى الإصلاح ، لكي يعود المجتمع
 إلى طبيعته الوحدية وتسود أجواءه روح الإخاء والتعاون ، التي
 أسسها الرسول الأعظم (ص) بين المؤمنين على الأسس القرآنية
 التي تقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ . الحجرات : ١٠ .



الإصلاح مسؤولية الجميع

٤/ ولأن الصراعات والخلافات يشترك فيها الجميع فإنها تؤثر بشكل سلبي على وجودهم جميعاً ، وينعدم في خطوة تالية تأثيرهم الإيجابي على الواقع ، كما قال ربنا عز وجل : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ١٤ ، فإن الإصلاح هنا سيكون هو الحل والبدل الأمثل ، وهذه مسؤولية إلهية على الجميع وتقع على عاتقهم للسعي للإصلاح.

منهج الإصلاح الاجتماعي

والخطوة التالية بعد معرفة أصل الخلافات الاجتماعية ومدى مسؤولية المجتمع عنها ، هي خطوة المنهج المتبع لممارسة الإصلاح ، فما هو السبيل إلى ذلك ، وكيف ندير عملية الإصلاح بين المتنازعين ؟
نستلهم من الآية عدة مراحل لممارسة الإصلاح.

١٤ / الأنفال : ٤٦



أ / تحمّل المسؤولية :

فعل الأمر من قوله ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ يعبر عن الأمر من قبل الله تعالى بتكوين الإرادة التي يتحرك من خلالها المصلحون ، وهي فعل التسوية والتفاهم بين الأطراف المختلفة.

ب / إعانة الطرف الإيجابي في مقابل السلبي :

فإن أبت إحداهما ، فإن الواجب على المصلح أن يقف مع مريد الإصلاح ، حتى ترجع الفئة التي تأبى ذلك ، كما في الآية ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِئَءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾. إلى أن ينتهي الأمر برجوعها عن صدودها وبغيها.

ج / الإصلاح العادل :

وعملية الإصلاح لا ينبغي أن تتأثر بشوائب نفسية من قبل المصلح ، ولا ينبغي أن يؤثر بغي هذه الطائفة على المسيرة



العادلة للإصلاح ، كما في الآية : ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾
 ، فالعدل قيمة أساسية حتى مع من يبغيون وينحرفون، وحتى مع أولئك الذين لا نملك لهم وداً ، يقول تعالى في آية أخرى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٥. فلا يمكن التخلي عن العدالة تحت أي مسمى وتحت أي ضغط ، سواء كان منبعه طرف من أطراف النزاع أو منبعه الممارس لعملية الإصلاح.

د / لا آثار سلبية بعد العملية الإصلاحية :

﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ، وهذا تأكيد على مسألة العدل ، لضمان استمرار العملية الإصلاحية في طريقها السليم ، فالعدل قيمة في عملية الإصلاح ذاتها ، وقيمة أساسية تشكّل السلوك الذي يأتي بعد إنجاز العملية ، فيستمر التعاطي العادل مع كافة الأطراف ، فلا يمكن أن تسلب حقوق طائفة لأنها أخطأت في يوم ما.



التأسيس الفكري للإصلاح

المطالبة بالإصلاح، تحتاج إلى تأسيس فكري، لكي يقتنع الإنسان بهذا العمل، ويكون ضمن عقيدته، وهذا هو المنهج العام للقرآن الكريم وللإسلام كدين يدعو لقيم وأفكار يراود لها أن تكون فاعلة في المجتمع، لا بالإكراه يتم الإيمان، ولا بالقسوة يتم التطبيق، ولا عبر الأوهام أو الإكراه يتم الجذب لأمر ما، وإنما عبر الفكرة الصحيحة التي تعبّر عن الحق، والتي بدورها تشكل القناعة لدى الإنسان، لذلك نجد أن الآية التي تلي الحديث عن المشكلة (وهي الخلافات) تؤسس لعملية الإصلاح وتقول ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. وهذه حقيقة واقعية، قد يغفل عنها الكثير من المنظرين والعاملين في الحقول الاجتماعية، فيسعون جاهدين لمعالجة قضايا مختلفة من دون أن يزودوا المجتمع بثقافة تلك القضية، وذلك المنهج لا يعالج الأسس والجذور، وإنما يكفي بالعلاج السطحي، فعندما لا يمتلك الناس الأسس الفكرية



والثقافة التي تدفعهم للتحرك ضمن دائرة علاجية وإصلاحية ما ، فإنه لن تتكوّن لديهم الدافعية الكافية لممارسة تلك العملية ، ولا يؤمّن ذلك المنهج ضمانة لعدم عودة المشكلة مرة أخرى ، فإعطاء الخلفية الفكرية الثقافية لهذه المشكلة إنما هو لتأسيس قناعة في عقول الجميع بأن الأصل هو الأخوة ، والأخوة جاءت من البعد الإيماني ، والإلتزام بمسؤولية الحفاظ على هذه الحالة هي مدعاة إلى أن يدخل الإنسان في رحاب رحمة الله تعالى .

والبصائر التي نستلهمها من الآية هي :

إن الإصلاح ضرورة يتطلبها الواقع ، فالمؤمنون هم أخوة ، والأخوة يعيشون في البيت الواحد ، ولا بد أن لا يعيشوا الخلافات فيما بينهم ، وإلا تحوّل ذلك البيت إلى جحيم لإفتراده الأمن الأسري والاجتماعي ، فمن الضروري أن يلجأ الأخوة إلى الصلح ، لكي يبقى البيت هادئاً ومناسباً لكل الأطراف ، وهكذا هو المجتمع الإيماني ، فإن الفئات المختلفة تعيش فيه ضمن دائرة الإيمان أخوة في الله ، فالخلافات ستعكّر الأجواء ،



وتؤثر على الطرفين .

وهكذا هي الأحاديث الشريفة تصف المجتمع الإسلامي بأنه كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . فإن الله تعالى هو الذي حدد نوعية العلاقة بين طوائف المجتمع المتنوعة ، ولذلك فإن ممارسة الإصلاح ، ونبذ الخلافات ، هي من صميم التقوى ، وإن بركات الله عز وجل ورحمته تنهمر على المجتمع الذي يراعي أوامر الله وحدوده ، ومادامت الخلافات تنهك وتنخر في جسد المجتمع ، فإنه سيكون أبعد عن الرحمة ، كما هي الحقيقة في ذيل الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أخلاقيات التعامل في المجتمع الإيماني

لقد جاءت الآيات بالنهي عن أفعال مذمومة وسلوك سلبية ، ولم تأت بالأخلاقيات المقابلة لها في جهة الإيجاب ، وذلك لأن هذه السلوكيات هي الأسباب التي تؤدي إلى الخلاف والصراع في المجتمع الإيماني الذي تحدثت عنه الآيات



في مطلعها ، وإن رفضها وتجنب المجتمع عن ممارستها ، يعني أنه قام بالعمل الوقائي.

وهنا سببان أساسيان في منشأ الصراع ، هما:
 الأول : طبيعة نظرة الإنسان لنفسه.
 الثاني : طبيعة نظرة الإنسان للآخر.

الأول : نظرة الإنسان لنفسه.

عندما تكون نظرة الإنسان لنفسه قائمة على أساس التفضيل بأن يعتبر ذاته أفضل الجميع وأرقاها ، فهذا يدعوه إلى عدة أفعال وسلوكيات تجاه المجتمع وهي:

١ / السخرية: بأن يرى الإنسان نفسه أفضل من الآخرين فيستصغروهم ، ويستهزء بهم ويضحك عليهم فيقوم بتحقيروهم. بينما يمكن أن يكونوا هم أفضل منه لأنه لا يعرف كافة الجوانب والأحوال الإنسانية ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾. وهذا السلوك لا يولد إلا العداء من الأطراف التي



تقع عليها السخرية ، كما في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (لا يطمعنّ المستهزئ بالناس في صدق المودة) ١٦ .

٢ / اللمز والتعير بالحركة أو القول هي من افرازات استحقار الآخرين ، ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وجاء التعبير بأنفسكم لأنه تعبير عن أن الذي يقوم بهذا الفعل إنما ينعكس عليه ، لأنه فعل مشين ومنقصة أخلاقية تعود على الإنسان نفسه ، أو هو فعل يؤذي المجتمع ككل وهو داخل في ضمنه لأن أفراد المجتمع هم أخوة في الإيمان ، فما يبذر منه من سلب سوف تقع عليه نتائجه ، وهذا السلوك ناشئ من طبيعة النظرة الاستعلائية التي يراها الإنسان إلى نفسه في قبال الآخرين . ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ .

٣ / وهذه الحالة من التنازع بالألقاب السوء ، إنما هي رجوع إلى الوراثة بعد الإيمان حيث أن سمة الإنسان المؤمن هي الأسماء الحسنة والصالحة وإن استبدلها بالأدنى هو عبارة عن تخلي عن

١٦ / ميزان الحكمة ، محمدي ريشهري ، ج ٤ ، ص ٤١٥ .



الحالة الإيمانية، ولأن هذه الأفعال هي أفعال سلبية فإن الإنسان المؤمن بحاجة إلى التوبة لكي ينال استحقاق الرحمة الالهية وإلا فإنه سوف يكون في دائرة الظالمين ، لأنه تعدى على حقوق الآخرين ، والتي هي حقوق اجتماعية عامة.

وبلا أدنى شك فإن الإنسان عندما يتعرض لمثل هذا السلوك سوف يستثيره ذلك ليقوم بأعمال قد تؤدي إلى حالة النزاع والصراع.

الثاني : نظرة الإنسان للآخر.

السبب الآخر لمنشأ الصراع هو طبيعة نظرة الإنسان للآخر ، وهي القائمة على سوء الظن ، وهو ما عبرت عنه الآية التالية في السياق القرآني :

١ / اجتناب سوء الظن بالآخرين ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

٢ / عدم اجتراح خصوصيات الناس وتبعتها بالتجسس ، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

٣ / النهي عن إشاعة عشرات الناس بفعل الغيبة وهي



أَنْ يَتَحَدَّثَ أَحَدُهُمْ عَنِ الْآخَرِ فِي غِيَابَةِ بَمَا يَكْرَهُ ، ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ .

والملاحظ في طبيعة هذه النظرة التي يتبناها الإنسان لتحديد رؤيته عن الآخرين ، بأنها نابعة من روح مشككة وعديمة الثقة تميل إلى الظن السيء بالآخر ، فهي تفترض أن يقوم الناس بالسوء دائماً ، ولا تأمل ولا تتفائل بالخير تجاههم ، وهذا هو سوء الظن ، وهو المنشأ الأساس في بداية سلسلة الأفعال الأخرى التي جاءت في سياقها وفي آية واحدة ، وقد نهت الآية عن هذا الفعل ، كما نهت الروايات الكثيرة عنه ، وقد قال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك : (إذا ظننتم فلا تحققوا...) ١٧ إشارة إلى أن لا يتحوّل سوء الظن القلبي إلى فعل وحركة في الخارج ، وقال الإمام علي (عليه السلام) : (من غلب عليه سوء الظن لم يترك بينه وبين خليل صلحاً) ١٨ فالبداية هي سوء الظن ثم يمر بالتجسس ، وينتهي إلى الغيبة ، لأن سوء الظن

١٧ / ميزان الحكمة ، للريشهري ، ج ٥ ، ص ٦٢٦

١٨ / نفس المصدر ، ص ٦٢٨



يدعو الإنسان إلى أن يصدّق ظنّه ، فهو بحاجة إلى تتبع الأثر والتلصّص على الآخرين ، وهذا الفعل يسوقه إلى النهاية المدمّرة وهي الغيبة ونهش لحوم الناس .

ثم يحيلنا السياق القرآني إلى الأساس الفكري في تأسيس عملية الإصلاح التي ذكرناها سابقاً (الأخوة الإيمانية) حيث يذكر السياق القرآني بأن الغيبة هي بمثابة نهش ذلك المبدأ ، وكأن الإنسان الذي يمارسها يأكل لحم أخيه المؤمن وهو حي ، له حق الحياة بما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وما دام الإنسان مقتنعاً بأصل المبدأ بأن المؤمنين أخوة ، فهو بلا شك يكره أن يقوم بأكل لحم أخيه ، وإلا فيعد ذلك تناقضاً واضحاً بين ما يؤمن به وبين ما يمارسه في واقعه ، وقد أحوّلت الآية الناس الذي يمارسون سلسلة أفعال التي تؤدّي إلى الغيبة ومن ثم تؤدّي إلى نشوب الخلافات الإجتماعية إلى مبدأ كراهة أكل المؤمن لحم أخيه المؤمن تعويلاً على كفاية الأساس الفكري والإقتناع به مسبقاً فيقول تعالى : ﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ والكراهة هنا نابعة من استيعاب الفكرة الأساس وهي مبدأ الأخوة الإيمانية



، إذ لا فائدة من التذكير بها أو التعويل على كراهة أكل لحم
الأخ من دون الالتفات إلى أن هذا الأصل مستوعب مسبقاً ،
وهذا تحديداً ما ندعيه في ضرورة التأسيس الفكري لإعطاء الحلول
والعلاجات مفعولها وتأثيرها في المجتمع .

التخلص من الخلافات من شروط الإنفتاح

بعد العرض القرآني الدقيق لمسألة الخلافات في
المجتمعات الإيمانية ، وتبياناً لأهميتها تأتي الآيات في السياق
نفسه لتقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ، فهي تدعو الناس جميعاً إلى التعارف فيما
بينهم ، رغم اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، وهي دعوى للإنفتاح
على كافة أصناف البشر بغض النظر عن نوعهم ، ولكن لكي
يكون ذلك الإنفتاح انفتاحاً واعياً وعاملاً من عوامل الرقي
الإنساني عبر التكامل الحضاري ، فلا بد من الالتزام بمقدماته ،
وأهم مقدمة تأتي في السياق الإجتماعي هي أن يحافظ المجتمع
على تماسكه و وحدته ، ويتغلب على خلافاته ونزاعاته مستعيناً



بمنهج الإصلاح الإجتماعي الذي يكون الأخوة الإيمانية التي تحافظ على التعدد والتنوع داخل إطار الوحدة الإيمانية ، وإن أي انفتاح لا ينظر لهذه المقدمة الأساسية سيكون انفتاحاً منقوصاً وسيؤول إلى الفشل كما هي القاعدة القرآنية العامة ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال : ٤٦ .

الخلاصة

إن وجود التعدد في المجتمع الإيماني شيء طبيعي ، إلا أن المرفوض هو ظاهرة الخلافات بين الفئات والجماعات ، وإن التخلص منها مسؤولية الجميع ، ومنهج الإصلاح هو المنهج القرآني الذي يسير في اتجاه العدالة المجتمعية ، حيث يطعي كل ذي حق حقه ، ولكي يكون الإصلاح فاعلاً ، عليه أن ينحى منحى التأسيس الفكري أولاً عبر خلق قناعة واحدة حول الأخوة الإيمانية ، ثم يؤسس عليها بقية الخطوات الإصلاحية ، والتي تتجه في طريقين :

الأول : معالجة نظرة الإنسان لذاته ، لتكون نظرة



واقعية غير استعلائية.

والثاني : معالجة نظرة الإنسان للآخر ، وإشاعة روح

الثقة وحفظ الحقوق .

والوصول إلى هذا القدر في المستوى الاجتماعي يؤهل

المجتمع للإنتفاع أكثر على الأصناف الأخرى من البشر المتنوعة

في ثقافتها و معتقداتها.

التدوين الشخصي في مواجهة تأثيرات العولمة
قراءة قرآنية



التدين الشخصي في مواجهة تأثيرات العولمة قراءة قرآنية

تقديم

تعدّ تأثيرات العولمة من أوسع التأثيرات على الحضارات والثقافات والدول والمجتمعات ، من أي مؤثر آخر ، فليس تيار العولمة الجارف الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، كالتحديات التي مرّت على بها دولنا ودول غيرنا ، بالإجتياحات العسكرية ، أو الإستعمار السياسي ، أو محاولات الإجتراح الثقافي عبر التيارات الفكرية المختلفة أو عبر حركة الإستشراق أو

محاولات التبشير المسيحي .. وليست كالضغوطات الاقتصادية التي تمارس في بعض الحالات على بعض الدول الإسلامية والعربية .. بل إن تأثيرات العولمة وهي (الإستعمار بثوبه الجديد) فاقت كل تلك التحديات التي مرّت على المسلمين في فترات متعاقبة ، حيث أن لها امتدادات متنوّعة في مختلف المجالات ، فقاعدتها اقتصادية تستحوذ على الخيرات وتوسع الهوة بين طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء ، وأهدافها هي الهيمنة السياسية ، ونتائجها انحرافات ثقافية وتغيرات اجتماعية واسعة ..

ولا شك أن الفرد باعتباره يعيش هذه الدائرة ، فهو مشمول بتلك التحديات التي قد تؤثر عليه ، وتنقله من حال إلى حال ، وقد تتشكّل شخصيته من جديد وتصاغ وفقاً لشروط ومواصفات عوملية ..

السؤال : هل هذه التأثيرات هي في صالح الفرد بوصفه متديناً ؟

تحول الشخصية

إن مبدأ التغير بحد ذاته وفي نفسه ليس مرفوضاً ، بل على العكس ، فإن سنة الله عز وجل جرت على أن يقوم الإنسان بتغيير نفسه ويحولها من حال إلى حال ، فقد ولد الإنسان ضعيفاً ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ الروم : ٥٤ ، و قد ولد وهو لا يعي شيئاً ، حيث قال عز وجل : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل : ٧٨ وما هذا إلا ليقوم الإنسان وعبر ما أعطاه الله عز وجل من إمكانيات (عقلية ، وفكرية ، وعصبية وغيرها) لتغيير نفسه ، وتشكيل شخصيته ، وقد قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١ .

فإن التغير بحد ذاته مطلوب ، بل هو ما يجب أن يؤدبه الإنسان الفرد ، ولكن المحذور هو (نوع التغير) وماهيته ، أي الجانب الذي يتصل بالمضمون ، فالتغير الذي أَرَادَهُ اللهُ تعالى كما في القرآن الكريم هو التحول إلى الأفضل وإلى الصلاح ، كما في سورة العصر : ﴿وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ .

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا
بِالصَّبْرِ ، فمن يترك نفسه وحالها دون أي انجاز وتقدم ، فهي
تسير نحو الخسران ، فلا بد أن يضيف إليها العمل الصالح ،
والتفاعل مع المجتمع في دائرة إيجابية وتكاملية .

التدين الشخصي ومضامين العولمة

إذاً ، المضمون هو المهم في عملية تأثير إرهابات العولمة
على الإنسان ، وقد عرفنا من خلال سورة العصر أن الإنسان
الرابح هو الذي (يعمل صالحاً ، وهذا بعد فردي ، ومن يتوأسى
بالحق والصبر أي الذي يتفاعل مع المجتمع في اتجاه الخير) ، ولا
شك أن أي حضارة لا تدّعي أنها تقوم بتدمير الإنسان أو أنها
تبث مضامين الشر ، فهي تقول أيضاً أنها تبشّر الإنسان الصالح
الذي يتفاعل مع مجتمعه بالصلاح ، وهكذا هي إدعاءات الثقافة
الأمريكية .. إلا أن هذا الإدعاء لا يرقى لأن يكون حقيقياً ،
وذلك لسببين :

الأول : إن واقع الحركة الأمريكية وواقع الثقافة الغربية بشكل
عام ، لا يستطيع أن يصنع إنساناً صالحاً ومجتمعاً صالحاً ، لمشكلة

أساسية في طبيعة هذه الثقافة القاصرة بذاتها، ومحالات القصور كثيرة وناشئة من الطبيعة التجريبية والاستحسانية لهذه الثقافة التي تفتقد المقاييس الثابتة والمصدر الحق ، ولا نريد أن نستغرق في إثبات ذلك لأنه سيأخذ أبعاداً مختلفة لا مجال لها..

الثاني : وهو الأهم أننا أصحاب ديانة خاتمة وهي الإسلام ، والإسلام دين إلهي ، جاء بخطة متكاملة لصياغة الإنسان في أبعاده الشخصية و الاجتماعية عبر بصائر الوحي وهدى أهل البيت عليهم السلام .

فأي عملية تسعى لأن تكون بديلاً عن تلك الوصفة الإلهية لصياغة الإنسان و تدينه ، فهي مرفوضة ، وهو ما ينبغي أن نواجهه و نحبط حبائله ، لأنه يتناقض مع الشخصية الرسالية التي يرتضيها الله عز وجل .

ولا شك أن المضامين التي تتدفق على الإنسان في بعده الشخصي ، ضمن التحديات الجديدة ، هي مضامين نفعية ، و شهوانية ، تسعى لتميع الشباب وإلغاء كل المحذورات الشرعية من قاموسه ، وإحباط أي مسؤولية رسالية يسعى لتحقيقها في واقعه ، ومن أجل دينه .. فهي باختصار صياغة جديدة لإنسان

غربي غير متدين ، وهذه هي المشكلة الأساس .

أساليب التأثير على المستوى الشخصي

هنالك تداخل واقعي بين مختلف المناحي الحياتية ، فالسياسة تؤثر في الاجتماع ، والعكس ، والاقتصاد يؤثر في الثقافة والعكس ، والمجتمع يؤثر على الفرد ، والعكس صحيح .. لهذا التداخل و التشابك في عملية التأثير ، فإن المستوى الشخصي ، سيكون معرضاً ومتأثراً بكل تلك القوى ، كل واحدة من جهتها وبمقدار ارتباطها بحياته وسلوله ..

إلا أننا نركز على الأساليب المباشرة ، والأسباب التي عملت على التأثير على التدين ، وهي أساليب اتبعتها جهات ذات منافع دنيوية ، تؤكد على الربح المادي ، والاستعباد السياسي للآخرين .. ويمكن أن نحدد أكثر ونقول أن الخطط

متعددة ، ولكن القاعدة واحدة ١٩ .

التلاعب بالأذواق

القاعدة التي يدخل من خلالها أولئك وهي مصداق
لحبائل الشيطان ، أنهم يغيرون مؤثر الحب و البغض ، و الحسن
و القبح ، من أجل الإستحواذ على الشباب ، عبر انجاذبهم نحو
ما يحبون و ما يرونه حسناً .. ولكي يعتزلوا ما كان خلاف ذلك
لديهم .. وهي بتعبير آخر التحكم في حركة الذوق الإنساني
ليكون تابعاً لما يريدون ، ولو كان ذلك خلافاً لإرادة الله تعالى ..
فعندما تتغير المعايير التي يشكل على أساسها الإنسان
انتماءه ، فهو بالضرورة يتغير في اتجاهها ، وقد أجمع الكثير
من العلماء و المفكرين على أن أهم خطط العولمة الغربية هي
التلاعب بالأذواق ..

حيث يقومون بالتالي :

• لكي يحصل الرأسمالي على السوق في البلدان

١٩ / لقد عالجنا هذه الأبعاد وغيرها بشكل موسع في كتابنا (العولمة و المجتمع) .

الإسلامية ، فإنه لا بد أن يسعى للهيمنة السياسية لفتح الأسواق بأقل تكلفة ممكنة .

• ولكي يحصل الرأسمالي المتمثل بالشركات المتعددة الجنسيات على الربح في السوق الإسلامية فعليه أن يجد من يرغب في شراء سلعته .. (تحقيق عامل الطلب).

• ولا يحصل على أولئك المستهلكين ، إلا إذا قام بشتى الوسائل بتغيير أذواق الناس ، لكي تتطابق مع الذوق للإنسان الغربي ، ليلجأ الناس لشرائها و الإقبال عليها..

• إذن عليه أن يستفيد من كل التقنيات المتوفرة ، والإعلام المنتشر لبلوغ ذلك الهدف..

هذا مثال تبسيطي ، ولكنه واقعي مائة بالمائة ، يطبق بشكل منظم و مدروس ، و بمسميات مختلفة في واقعنا و في دولنا ..

إذاً المدخل هو الذوق ، وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم ، نراه قد أكد على أن (الحب والكراهة ، والإعجاب وعدمه) ليسوا عناوين للحق و الباطل ، و لا تدور مدار صلاح الإنسان وخيره ..

فهي لا تعطي قاعدة تامة ولا يمكن أن يعتمد الإنسان عليها في تأسيس حركته .. حيث يقول تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة : ٢١٦ .

ويقول تعالى : ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة : ١٠٠ ، فالخبث مفهوم لا يتغير بتغير الشكل والمظهر أو بالكم والعدد ، ولا يتغير إذا سحر أعين الناس و أعجبهم حسنه الظاهري .. لذا فإن الله تعالى ينهى عن هذه الحالة في آية أخرى إذ يقول : ﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة : ٥٥ ..

و من ذلك تؤسس الآيات الكريمة ، قاعدة المفاضلة على أساس الدين و الإيمان ، لا على أساس الحب و الإعجاب حيث يقول : ﴿وَلَا مَـمْنَةٌ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ مَّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ، ويقول عز وجل في سياقها : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ

أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿البقرة : ٢٢١ ..
فالآية الكريمة تدعونا إلى الوصول إلى العمق لنبصر ماهية الثقافة
المحركة لهذا المجتمع أو ذاك ، لكي لا تسوقنا مشاعرنا بما زينت
لها بهرجة الحضارات إلى نكران الحقائق الكبرى و صد الهدى
عن الوصول إلينا ، و الابتعاد عن المنعم الذي أغدق علينا تلك
النعم و وقفنا للوصول إليها و معرفة مآلاتها .

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد على ذات
الحقيقة بوضوح تام ، لم نذكرها اختصاراً ..

فلماذا لا يكون الحب و الإعجاب الظاهري هو
المقياس ؟

قد أجابت الآيات السابقة بذلك وقالت :

١ / في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ،

حيث أن خالق الخلق أعلم بخلقهم من غيره .

٢ / في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو

إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ ، أي أن الاختلاف الجوهرى بين الثقافتين

يكن في الغايات التي تنتهي إليها كل ثقافة ، فإن الله يدعو للجنة والمغفرة ، حيث أن الآخرة هي دار المقر. إن طبيعة الثقافة المتناقضة مع الدين مصيرها هو الانحدار والتقهقر ، ومصيرها هو النار ، هذا لمن يؤمن بالآخرة والمعاد.

والنتيجة المترشحة من اتباع إعجابهم الظاهري ، هي تخلي الشباب المسلم عن تدينه و التزامه بما يدعو إليه الإسلام من أحكام متنوعة تشمل كل الحياة ..

تمثّلات التحديات في الواقع اليوم

ما نجد من مظاهر تخلي بعض الشباب عن حالة التدين له أسباب عديدة كما ذكرنا ، وتوزع تلك الأسباب بين الأسباب الداخلية التي ينتجها المجتمع نفسه أو التي يقوم بها الفرد ذاته كمحرك وباعث من نفس المجتمع ، وبين أسباب خارجية ، تقوم بها جهات مختلفة لتحقيق مآربها الخاصة ، ولأننا نتحدث عن مؤثرات العولمة ، فإننا نحصر الحديث في الجانب الخارجي وما يقوم به من دور في تفكيك تدين المسلم ، و نذكر هنا بعضاً

من تمثلات تلك الأساليب لا على سبيل الحصر:

١ / الإعلام الشهواني.

لا يمكن أن نفرّق بين وسائل الإعلام العربية والغربية اليوم، كما يقوم به الباحثون عند دراستهم للظواهر الاجتماعية المختلفة، بل أصبح الآن وبفعل الانفتاح الفضائي كل شيء متاح إلى كل بيت، فتقوم القنوات الغربية بالتأثير بشكل مباشر في المشاهد المسلم، بما تبثه من مواد.. فضلاً عن أن القنوات العربية إنما هي تابع لمثيلاتها الغربية ومقلدة لها في جانب، ومستوردة لأكثر من ٦٠٪ من موادها الأخرى من القنوات الغربية..

فقد استخدم الإعلام في غير ما وضع له، وهي الرسالة التي تبث المعلومة الصادقة، والتوعية والرقى بالمجتمع.. فأصبحنا أمام إعلام مغاير، تتسابق فيه الفضائيات لمشاهد الإثارة، والعنف، واللهو، ولا شك أن هذا يعمل على جذب الكثير من الشباب، فيقومون بنفس الأعمال، أو تحدد أدوارهم

للّهث وراء سحر الشاشات و ضياع الطاقات و الأوقات ، مما يضطرّه للتخلّي عن الطاعات ، و يدعوّه لارتكاب المعاصي ..

٢ / إشاعة النمط الغربي.

حيث تقوم الشركات الغربية الكبرى بخلق أجواء متطابقة مع النمط الغربي ، في المأكل و الملبس و السلوك ، كما نشاهد انتشار محلات الماكدونالد و أخواتها .. لكي يحصل الشاب المسلم على ساحة يفرغ فيها السلوك الذي يكتسبه من الإعلام ..

٣ / الموضة .

ظاهرة الموضة بصورتها الموجودة في مجتمعاتنا هي تجسيد لحالة اللّهث وراء الإعجاب و المظاهر الأخاذة ولو على حساب الشرع و الدين ، و منها على سبيل المثال لبس المرأة وتحولاته ..

٤ / الشباب و النساء

وتتحرك عملية تغيير الأذواق ، أو العمل على اتباعها بشكل مطلق ، في شكل التأكيد على فئات عمرية على أساس إستقلالها ، وهم فئة الشباب ، والمرأة ، فقد أشاع الإتجاه الغربي أن فئة الشباب يحتاجون إلى تجمعات شبابية مستقلة ، وكذلك النساء ، لكي يمارسون حياتهم ، وفقاً لمتطلبات فئاتهم .. وبالطبع فإن النظر للفئات العمرية على أن لها احتياجاتها الخاصة ، شيء موافق للحقيقة ، وقد أعطى الإسلام هذه الخاصية لكافة الفئات العمرية ، إلا أن التفكيك التام هو موطن المشكلة ..

حيث أن مرحلة الشباب تحتاج إلى التوجيه والإرشاد ، والنساء يحتاجون إلى الدعم والمساعدة والإرشاد أيضاً .. فهذه عملية تفكيكية ، تسهل دخول سياسة (الأذواق) إليها خصوصاً مع العلم بخصائص هذه الفئات الطبيعية.

٥ / الأطفال رهان آخر.

فالإتجاه الغربي ، يسعى لجعل الطفل يرتبط برموز الثقافة

الغربية ، ثم يكبر و تكبر معه هذه العادة ، و ذلك عبر إغراق السوق بالسلع الغربية ، بعد أن يتم تسويقها إعلامياً ..
و ما إلى ذلك من أساليب و تمثلات ، منتشرة في واقعنا اليوم .

معالجة مختصرة

للحفاظ على التدين الشخصي من تحديات العولمة المتمثل في التلاعب بأذواق الناس ، و جعلها مقياس القبول و الرفض ، يمكن من خلال التالي :

١ / إشاعة ثقافة القرآن في استخدام الذوق ، والإعتماد على الانجذاب الظاهري في موضوعاته المخصصة ، والفصل بينها و بين ما هو من عمل العقل و الإيمان ، يقول تعالى : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة : ٢١٦ .

٢ / إيجاد وسائل التأثير الإعلامية و استخدام التقنيات الحديثة في إشاعة الفضائل و مكارم الأخلاق ،

بتأسيس فضائيات متعددة ترقى للتحديات الموجودة ، قال تعالى : ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ .النحل : ١٢٥ .

٣ / خلق أجواء دينية و اجتماعية ملتزمة ، تفوق تلك التي تتربّع على أرضنا ، عبر الاستفادة من الشعائر الدينية المتنوعة ، يقول تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ البقرة : ١٣٨

٤ / طرح المفاهيم الدينية ومكارم الأخلاق بأشكال محببة وجذابة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ الحجرات : ٧ .

المحتوى الثقافي
في الخطاب الإسلامي المعاصر
معالجة قرآنية

المحتوى الثقافى فى الخطاب الإسلامى المعاصر معالجة قرآنية

إن التيارات الإسلامية بمختلف توجهاتها المتشددة و المعتدلة ، و المختلفة فى مرجعياتها الفكرية ، هي تيارات حيوية ، و لها تأثير على مجمل الساحة العالمية المعاصرة ، بغض النظر عن صحة متبنياتها أو عدمها و بغض النظر عن التأثيرات السلبية أو الإيجابية ، و تكتسب تلك الحيوية نظراً لانتمائها للدين الإسلامى لأن (الإسلام قوّة حضارية سابقة ، وقوة اجتماعية

فعلية وقوة جيوبوليتيكية مستقبلية حتماً ، بقطع النظر عن وضع المسلمين الفعلي .

وهو دين سماوي يمتلك من عناصر البقاء والاستمرار ما يكفي ليس لاستمرار تأثيره على أتباعه فحسب ، بل لكي يترك آثاره الكبيرة على مستقبل البشرية جمعاء ، فهو يشكل أسرع الديانات نمواً في العالم حيث تتجاوز نسبة نموه الـ ١٥٪ ، ويسبق في ذلك المسيحية التي لا تتعدى نسبة نموها ١٣٪ .

أما عن المسلمين فإن عددهم حسب إحصائيات عام ١٩٨٤ مليار ومائة وخمسين مليون نسمة ، في الوقت الذي كان عدد نفوس العالم حينذاك أربعة مليارات ونصفاً ، وهكذا فإن من كل أربعة كانوا يمشون على وجه الأرض فإن واحداً منهم كان مسلماً ، وإذا أخذنا في الاعتبار أن العالم الإسلامى هو أكثر البلاد نمواً في عدد السكان ، فإن هذه النسبة ستكون مع الأيام قد زادت عن تلك بكثير .

وبهذا فإننا لو أخذنا الفرق المسيحية على حدة فيكون المسلمون من حيث التعداد هم في المرتبة الأولى في العالم ، ثم



يأتي بعدهم الكاثوليك ..

أما نسبة المسلمين حسب الدول فإنهم يشكلون الأثرية في ٦٠ دولة ، ونسبتهم عالية في دول أخرى كما أن لهم حضوراً كبيراً في المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في دول مهمة مثل الهند ودول أفريقية كثيرة.

وتغطي الدول الإسلامية وحدها عشرة ملايين ميل ، وتمتد من المغرب إلى يوغسلافيا ، ومن تركيا إلى باكستان ، ومن جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً في آسيا الوسطى إلى أندونيسيا ، ويزيد عدد المسلمين في الصين وحدها على عددهم في الجزيرة العربية ، كما أن عددهم في أندونيسيا يزيد على عددهم في جميع بلاد الشرق الأوسط ، ويعيش في بلاد الاتحاد السوفيتي سابقاً أكثر من ٧٠ مليون مسلم ..

وإذا أخذنا بعين الاعتبار معدل الولادات الحالي ، فإنه سوف يكون في منطقة الاتحاد السوفيتي السابق في القرن القادم من المسلمين عدد ما فيه من الروس ٢٠.

٢٠ / المدرسي ، هادي ، ثلثاً يكون صدام حضارات ، دار الجديد ، لبنان بيروت ، ط ١ ، ص ١٠٠



فمن هذه الإمكانيات العديدة ، و بالإضافة إلى
الإمكانيات الفكرية ذات الجذور التاريخية المتصلة برسالة
السماء وصولاً إلى المذاهب العقيدية و التيارات السياسية و
الاجتهادية تولدت حيوية ملحوظة للتيارات الإسلامية ، يمكننا
أن نلاحظ تأثيراتها العالمية بشكل عام على تشكيل السياسات
الدولية و ترتيب أولويات الدول الكبرى كما هو الحال مع تحرك
الولايات المتحدة ، خصوصاً بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر
وتفجير أبراجها حيث اختلقت الحرب في أفغانستان و العراق
، كما نلاحظ التأثير على بعض النظريات الجديدة مثل نظرية
(صدام الحضارات) للمفكر الأمريكى صموئيل هانتيجتون ،
حيث أن الهاجس الكبير لديه هو من التيارات الإسلامية و
تناميها و قد كان له الأثر البالغ في صياغة نظريته و استدعاء
هواجس الصدام بين القوى الإسلامية المتنامية و المنتشرة ، مع
الغرب المسيحى واليهود و العلمانية بل و مع الهندوس ٢١ ،
وقد صرّح في لقائه مع إحدى المجلات و هي مجلة (المجلة)

٢١ / لاحظ (الإسلام والغرب آفاق الصدام) تأليف : صموئيل بي . هانتيجتون ،
مكتبة مدبولي ، مصر ط: الأولى ١٩٩٥ م .



اللندنية بأنه لا يفرّق بين ما يسمى بالإسلام السياسى المتشدد والإسلام المعتدل ، فكلاهما خطر يحرق بالغرب ، كما نلاحظ ذلك فى تناول الإعلام الغربى وغيره للظاهرة الإسلامية بوجه مختلف .

من هنا تنبع أهمية دراسة الخطاب الإسلامى بنظرة ناقدة ومقوّمه لكى يكون الأثر الذى يتركه فى شتى مناحى الحياة وبقاع العالم شاملاً للمجتمعات الإسلامية ولغيرها أثراً إيجابياً ليصب فى مصلحة الإنسان ، ولا شك أن ما يحصل من تفاعلات عالمية ودولية واجتماعية اليوم بأنها لا تكون بالضرورة معبرة عن حقيقة الإسلام وقيم الدين وإن انتمت إليه وبشّرت بأهدافه ، لذا تكمن أهمية التقويم لتقليل الأخطار من جهة ولضمان نتائج تترك الأثر الحسن على العالم باعتبار أن الدين الإسلامى إنما هو رحمة للبشرية لا نقمة عليها وهو مبعث السلام للناس وليس منبعاً للحروب ، وهو يذكى جذوة الخير فى النفوس ويرفض مظاهر الشر .



كما أن أهمية هذه النظرة النقدية تأتي من كوننا ننسب للدين الإسلامى الحنيف ، وهذه التيارات منتسبة إليه وموجهة به حسب وعيها الخاص لمفاهيمه ومقاصده ، وما نريد إلا أن تقوم التيارات بدور يراكم الإيجاب في حركته ، لتأخذ الطريق المؤثر بإيجاب ليدعم القيم التي يبشر بها الدين .

الثقافة الجماهيرية وأهمية دراستها

(ما اتفقت كلمة مثقفي الأمة في عصرنا على شيء مثل اتفاقها على أن الأمة الإسلامية في سائر شعوبها ، وفي مقدمتها الشعب العربى ، تعيش أزمة فكرية ، تتجلى في شكل غياب ثقافى ، وتخلّف علمى ، وكسوف حضارى ، وتتجسّد في عجز الخطاب الفكرى المعاصر عن إيصال مضمون الخطاب الإسلامى السليم ومحتواه ، قرآنًا وسنة وشريعة وأخلاقًا ، وإن اختلفوا في تحديد الأسباب ووسائل العلاج) ٢٢ ، ونحن بدورنا نسلط الضوء في هذا البحث حول بعد واحد من أبعاد الثقافة الجماهيرية وهي جزء من أجزاء الخطاب الإسلامى ، وهو بعد

٢٢ / العلوانى ، طه جابر ، إصلاح الفكر الإسلامى ، كتاب قضايا إسلامية

معاصرة ، الكتاب الثانى عشر ١٤١٩-١٩٩٨ م ص ٣١

المحتوى و ماهية المادة التي تنضوي عليها هذه الثقافة الملقاة .
يعرّف عصام سليمان موسى الذي كتب أربعة كتب
في مجال الاتصال و الإعلام ، الثقافة الجماهيرية بأنها: (هي
البرامج والمواد و الفقرات المختلفة التي تقدّم عبر قنوات
الاتصال الجماهيري) ٢٣ .

فالثقافة الجماهيرية أبعاد شتى ، منها الآليات و الوسائل
، و منها المرجعيات الفكرية ، و منها لغة الخطاب و فنياته ، و
لكننا سنسلط الضوء فقط على بعد المحتوى و المضمون الذي
تتوجه به التيارات الإسلامية للمتلقي و هو المجتمع .

المحتوى هو الموجه الأساسي والمكوّن لعقلية المجتمع ،
وهو المصيغ للرأي العام و لثقافة المجتمع ، باعتباره مادة ثقافية
الهدف منها التأثير على الرأي العام ومحاولة اجتذابه للرؤية
المطروحة ، ولأن الثقافة الجماهيرية تشمل أوسع رقعة بشرية
 واجتماعية بمخاطبتها لكافة المستويات الفكرية و العمرية ، بل
وهي من أسهل المواد تلقياً بالنسبة للطرف المتلقي ، مما يشكل

٢٣ / موسى : عصام سليمان ، تطوير الثقافة الجماهيرية العربية ، الإمارات ،

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٢ ، ص ٧

استيعاب أكبر للتأثير، وكما أن للثقافة الجماهيرية الملقاة من طرف الآخر كالغرب على سبيل المثال للتعامل معها أهمية بالغة لكي لا تعمل في وعي المجتمع عملاً سيئاً، كما هو الجدل الدائر بين العلماء والمثقفين الإسلاميين والعرب حول هذه المسألة، خصوصاً في عصر العولمة والمعلومات وانفتاح كافة النواذ الغربية على المجتمع الإسلامى، كذلك هو الحال بالنسبة للثقافة الجماهيرية في بعد المضمون فإنه يكتسب أهمية أكبر وحاجة أكثر إلحاحاً لدراسته ومراجعته، باعتباره متحدثاً عن الدين وصادراً من الذات، فهو يكون أكثر قبولاً وتأثيراً، لذا فينبغي على التيارات الإسلامية أن تهتم به اهتماماً بالغاً، وتعيد مراجعته بين الفترة والأخرى. خصوصاً عندما نقف أمام مجتمع تبلغ نسبة الأمية الإجمالية فيه (كمجتمع عربى) ٤٠٪، ونقف أمام مجتمع محروم من أساسيات العيش الرغيد، ومجتمع مضطهد ولم ير أبداً الحريات بلونها الحقيقي.

فأمام هذا المشهد الاجتماعى لا شك أن احتمالية نجاح أي خطاب سيكون كبيراً خصوصاً عندما يحمل في محتواه



هموم الناس ، وإن كان مصدره يحمل ثقافة غير صالحة ، أو يكون لمن يطلقه مآرب أخرى يمررونها عبر استخدام المؤثرات الخارجية على المجتمع بغض النظر عن سلامة المحتوى والمضمون ، فنحن في مشهد اجتماعي مزرٍ يمكن أن يؤثر فيه بشكل عريض أي صوت تحت دعوى الخلاص والتقدم ، ولكن سرعان ما تتهاوى كل تلك الصيحات والمضامين الخاوية أمام الاصطدام بمسؤولية التنمية السياسية والاجتماعية والثقافية وفعل المشاركة ، لأن التنمية لا شك أن لها شروط مغايرة هي أقرب للنضوج والإحكام الفكري ، ومن لا يقدر على صياغة مضمون رصين ومعبر عن روح الإسلام ، لن يستطيع أن يساهم في مشاريع التنمية الاجتماعية والثقافية والسياسية وفقاً للرؤية الإسلامية.

إشكالية المحتوى الثقافي

الإشكالية التي يمكن أن نبثها في الخطاب الإسلامي في مجال المحتوى والمضمون للثقافة الجماهيرية التي تبثها



عبر وسائلها المتعددة ، هي انتزاع المضمون المحرك للثقافة ،
 واستخدامها لغة (الأمر و النهي) من دون إعطاء الخلفيات و من
 دون إعطاء الاعتبار للحوار و التفكير من قبل الطرف المتلقي ،
 ولعل ذلك راجع في الأساس إلى عزوف التيارات الإسلامية
 في حقبة الثمانيات عن التداول الثقافى في متبنياتها و في آليات
 عملها ، حيث كانت متوجهة إلى العمل السياسى البحت ،
 باعتباره أقصر الطرق المؤدية للهدف المنشود أو لظروف القهر
 التى كانت تمارس عليه و بفعل المشكلات الأمنية التى كانت
 تداهمه ، و قد كانت حقبة التسعينات بداية مراجعات ثقافية
 للحركات الإسلامية نتيجة تراكم الإشكالات المعرفية التى
 اصطدمت بها و التى أغفلتها في وقت سابق .

وقد أصبحنا بهذا الفعل (فعل إلقاء الأوامر و النواهي)
 و الاعتماد على المحتوى الحماسى و العاطفى ، و إفراغ الثقافة
 الجماهيرية من مضمونها الحقيقى ، أمام شريحة واسعة من
 المجتمع تنتظر الأمر الجاهز و الموقف الجاهز ، و لا تعطي دوراً
 للتفكير و لا مساحة للنقاش ، و لا تسعى للتساؤل ، و هذه صفات



المجتمعات الميئة ، فبينما القرآن الكريم جاء ليثير دفائن العقول ، وجاءت الآيات الكثيرة لتؤكد على بعد التفكير والتأمل والحوار ، والتعقل والتدبر والتفقه وما إلى ذلك من المفردات التي تصاحب كل ذكر لعقيدة أو لتشريع أو لعبرة .. فبينما القرآن يدعو إلى إعطاء الإنسان حق النظر والحوار وهي الميزة التي فضّل الله بها الإنسان على سائر خلقه .. نجد الكثير من التيارات الإسلامية لا تمارس هذا الفعل ولا تدفع بهذا الاتجاه .

يقول السيد هادي المدرسي في كتابة رؤى في مسيرة الحركة الإسلامية وهو من الكتب التي صدرت كمراجعة وتقويم للحركة الإسلامية في التسعينات : (إن الحركة الإسلامية عليها معاملة الناس باعتبار إنسانيتهم ، أي باعتبارهم عواطف وإرادات وأحاسيس ، والنظر إليهم ككائنات خلقها الله للتعارف في الحياة .

فلا يجوز للحركة الإسلامية أن تعامل الناس كجنود ، عليهم تنفيذ الأوامر دون تخلف ... يقول الإمام علي أمير



المؤمنين (ع) : (ولا تقولنّ : إني مؤمّرٌ .. أمرُ فاطمَ ، فإنّ ذلك إدغالٌ في القلب ، ومنهكةٌ للدين ، وتقربٌ من الغير) ٢٤ .

فإن كان المجتمع الذي جاء بعد الثورة الصناعية في الغرب سمي بمجتمع المعلومات ، لكون المعلومة هي العنصر الأهم لديه ، فإننا أمام مجتمع المواقف الجاهزة ، لكونه لا يمتلك ديناميكية حيوية للتفكير في ما حوله و ما يتوجب عليه فعله ، حتى عند أبسط المواقف ، مكتفياً بانتظار أن ينزل الموقف على صيغة الأمر أو النهي من تياره و حركته أو رمزه ، من دون تداول وتجاوز ومشاركة واستيعاب .

الحكمة محتوى الثقافة الجماهيرية

المخرج الذي نراه من هذا المأزق ومن هذا التجمّد الثقافى لما أصاب المحتوى الموجه نحو المجتمع ، إنما يكون بإكساب الثقافة الجماهيرية مادة و مضموناً حياً ، يحترم عقل الإنسان ، بتبيان الخلفيات و الدواعي و المناهج المكونة لهذا المحتوى ، وهي ما

٢٤ / رؤى في مسيرة الحركة الإسلامية ، السيد هادي المدرّسي ، بيروت ، دار

مكتبة المصطفى ، ط١ ، ١٩٩٠ م ، ص ٣٨



يعبر عنها القرآن الكريم بالحكمة كما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران : ١٦٤ .

وقد أشار الإمام الكاظم (ع) للحكمة بأنها (الفهم والعقل) ٢٥ ، وقال الإمام الباقر (ع) هي : (المعرفة) ٢٦ .

فمن ميزات الرسول (ص) كما تشير إليه الآية المباركة أنه لم يكن يكفي بتعليم الكتاب الذي نعتقد أن فيه تبياناً لكل شيء ، بل إنه يعلم الناس الحكمة أيضاً ، ليفكروا وليفهموا ، لذلك قال المسيح عيسى بن مريم (ع) : (إن الحكمة نور كل عقل) ٢٧ ، فالنور يكشف الطريق ليمشي الإنسان به في الناس و الحياة ، على بصيرة من أمره .

فما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات هو العقل ، وتجاهل

٢٥ / الريشهري : محمدی ، میزان الحکمة ، مکتب الاعلام الإسلامی ، ایران ،

ط ٣ ، ١٣٧١ هـ ، ص ٤٩٤ ج ٢

٢٦ / نفس المصدر ، ص ٤٩٣

٢٧ / نفس المصدر ، ص ٤٩٠



العقل في مخاطبة الإنسان هو تجاهل لقيمة عقله، بل تجاهل لنعمة إلهية كبرى، ويمكن الاستفادة من الخطاب القرآني الموجه لكافة الناس في هذا الجانب، حيث أن القرآن الكريم في كل تشريع (وهو الأمر أو النهي الشرعي الذي يطالب به المكلف أن يؤديه في واقعه الخارجي) نراه يقرنه بال غاية والهدف والفائدة، والحكمة من ذلك التشريع، لكي يستوعب المكلف ما يقوم به من أفعال، ولذلك جاء في الروايات: (لا خير في عبادة لا علم فيها)، و (لا عبادة إلا بالتفقه) ٢٨.

ومن أجل تخطي هذه المشكلة يعرض المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي ثلاثة حلول هي كالتالي:

١ / توجه الشباب نحو العلم الديني:

إن علم الدين ليس حكراً على من يتخرج من المؤسسة العلمية، وبناء على ذلك فإن المطلوب من الشباب أن يدرسوا العلم دراسة معمّقة من خلال مراجعة المصادر الدينية، والتدبر في القرآن الكريم لكي لا يدعوا الآخرين يسبقونهم في تفسير

٢٨ / نفس المصدر، ج٦، ص١٤



الدين حسب أهوائهم ، وأهواء سلاطينهم .

٢ / تطوير أساليب الإعلام :

وعلى سبيل المثال فإن هناك - للأسف - البعض من المؤلفين يصدرّون الكتب حول الإسلام وعندما نقرأ هذه الكتب لا نجد فيها في الغالب استشهاداً بآية ، أو حديثاً صحيحاً ، أو قصة تاريخية وهذا خطأ فظيع ، لأن المفروض منا عندما نتحدّث بحديث حول الإسلام أن نبحث عن أصله ، ومصدره في القرآن والسنة والتاريخ ومؤلفات الفقهاء .

٣ / نشر الإسلام على نطاق واسع :

إن الكثير من أبناء الحركة الإسلامية لا يكلفون أنفسهم عناء نشر الإسلام في أوسع دائرة ممكنة بل يكتفون بنشره في الوسط الذي يعيشون فيه معتقدين أن الإسلام حكر على شريحة معينة ، في حين أن الداعية المسلم ينبغي عليه أن يختلط



بأوسع قطاعات ممكنة من الجماهير ٢٩.

ويمكن أن نلخصها بأن على الجماهير أن لا تكتفي باستقبال المواد الجاهزة من دون علم ، فالعلم ليس حكراً على علماء الدين ، و لا بد أن لا يخلوا الخطاب من مرتكزاته ومن البراهين على ما يشر به وأن لا يخلوا من مرجعية الدين ذاته ، كما أنه لا ينبغي حصر معرفة الدين في حدود ضيقة وإنما لا بد من الانطلاق به ليستوعبه الجميع .

وعندما تتخذ التيارات والحركات الإسلامية هذه المنهجية وهي جعل الحكمة هي المضمون في صياغة الثقافة الجماهيرية التي تخاطب بها المجتمع فهي أمام عدة مكتسبات:

المكتسب الأول:

أن تتحول حركة المجتمع باتجاه قضاياها إلى حركة واعية ومقتنعة بما تؤديه و ما تتخذه من مواقف ، وهو بذلك يكون أكثر التصاقاً وأقوى تمسكاً برؤاه ، خلافاً لاتخاذ الرأي في سياق المؤثرات الخارجية ، كالوجاهات ، والإثارة العاطفية ، و استغلال

٢٩ / المدرسي ، محمد تقي ، النهج الإسلامى (قراءة في مسيرة الحركة

الإسلامية) ، ص ١٢٧ ، دار الجيل بيروت ، لبنان ١٩٩٨م



مواطن الألم ، فهذه سرعان ما تخمد جذوتها .

وهنا ننقل قولاً إلهياً صريحاً ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف : ١٠٨ .

المكتسب الثاني :

إنتاج الكفاءات المفكرة وزيادتها في المجتمع ، فعندما تتعود التيارات احترام عقول المجتمع ، و مخاطبة فكرهم ، فهذا يجعل الفرص أوسع لتكوّن كفاءات جديدة ، و تفتح أبواباً واسعة لذلك .. وهذا المكسب يتفرّع منه عدّة مكتسبات من أهمها :

١ / اعتماد المجتمع على قوّة إدراكه وتحمله المسؤولية في تحديد مواقفه بنفسه ، ليتحوّل أي موقف يتخذ إلى موقف عام و واسع ، له التأثير البالغ ، و لكي يعطي النتائج الحقيقية و النسب الواقعية .. فكم من تحشيد قام على غير وعي ، يتخذ في بدايته الصورة المضخمة و سرعان ما ينخفض ، لتظهر نتائج عكسية لذلك التصوّر ، فما ذلك إلا دليل عدم وعي أولئك بمواقفهم



، ودلالة واضحة لممارسة تأثيرات أخرى خارجة عن مضمون الثقافة الجماهيرية .

٢/ وجود الكفاءات المتعددة الواعية ، تجعل التيارات الإسلامية قادرة على تحديد الكثير من مواقفها من دون إرهاب التيار لبيت في كل صغيرة وكبيرة ، يقول تعالى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة : ٢٦٩ ، فالخير الكثير هو ما تتفرّع منه الحكمة لمواجهة المواقف و الآراء و تحديد موقفه منها ، لذلك يقول أمير المؤمنين (ع) : (من ثبتت له الحكمة عرف العبر) ٣٠ .

٣/ إن تعدد الكفاءات يشري التيارات و الحركات ، لتمارس صياغة آرائها بعقل جمعي يكون مجمعا لكافة العقول التي تختلف في أفهامها و أوجه نظرها ، ودرجات معرفتها ، لتدير أمورها بطريقة مؤسساتية قائمة على فعل الشورى والاستشارة ، و كما في الحديث عن الإمام الحسن (ع) : (ما تشاور قوم إلا
٣٠ / الريشهري : محمدي ، ميزان الحكمة ، مكتب الاعلام الإسلامى ، ايران ، ط ٢ ، ١٣٧١ هـ ، ص ٤٩٩ ج ٢



هدوا إلى رشدهم) ، وعن الإمام علي (ع) : (من استقبل وجوه
الآراء عرف مواقع الخطأ) ٣١.

فعندما تتبنى التيارات الإسلامية في خطابها الجماهيري
ذلك المضمون الثقافي الذي يحترم عقل الإنسان ، باعتباره
مخلوق مفكر ، وعندما تحرص على أن يكون كل فعل و موقف
جماهيري لا بد أن يتشبع وعياً بالخلفيات و الأسباب الداعية
إليه ، ستقترب الحيوية الإسلامية إلى المقاصد الإسلامية الأصيلة
بفعل الوعي العام للجماهير ، وستقطع الطريق عن أي محاولة
لاستغلال الخطاب الديني المحرّف أو المجزوء لأغراض مغايرة
لأغراض الدين . بل و سيساهم ذلك الوعي بنهوض المجتمع و
تقدّمه لتسود الحياة الطيبة بين الناس باعتبار أن أي تقدّم لا بد
أن يستوعب الجماهير و أن لا ينحصر في النخبة المستأثرة بالوعي
، وإن أي إلغاء لدور الجماهير في أي عملية تنموية بأن لا يكون
لها التأثير في مسار النهضة و التقدّم ، فهو إلغاء للأرض التي

٣١ / الريشهري : محمدي ، ميزان الحكمة ، مكتب الاعلام الإسلامي ، ايران ،

ط ٢ ، ١٣٧١ هـ ، ص ٣٦ ج ٤



تقوم عليها الحضارة.



رؤية قرآنية في مسار الحضارات



رؤية قرآنية في مسار الحضارات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كَذَّبْتَ ثُمُودَ الْمُرْسَلِينَ @ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَالِحٌ @ أَلَا تَتَّقُونَ @ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
@ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا @ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ @ أَتُرْكُونَ فِي مَا
هَاهُنَا آمِنِينَ @ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ @ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
طَلْعُهَا هَضِيمٌ @ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ

@ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا @ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ @
 الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ @ قَالُوا
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ @ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
 فَاتِّبَاعُ بَايَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ @ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ
 لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ @ وَلَا تَمْسُوهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ @ فَعَقَرُوهَا
 فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ @ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ @ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ❁ الشعراء ١٤١: ، ١٥٩.

نحاول من خلال التدبر في هذه الآيات من سورة الشعراء ومزاوجتها بمشكلاتها ومكملاتها من القرآن الكريم أن نكون صورة عامة لمسار الحضارات الإنسانية و كيفية التعامل مع معطياتها ومنجزاتها ، لنستخلص رؤية لمجريات الأحداث الراهنة وتفاعلات الحضارة أو الثقافات المعاصرة ، لتمكنا من اتخاذ موقف مبدئي مأمون في ظل التجاذبات المتنوعة و المواقف المتباينة تجاه التحولات الكبرى التي تتسع لتشمل كافة

المجتمعات، فنرجو من الله العليّ القدير أن يؤتينا من لدنه طاقة لبلوغ المقصد.

مقومات النهوض الحضاري

عند إرادة النهوض الحضاري بأمة من الأمم إلى مدارج الكمال ، يحتاج القادة و المصلحون إلى مقومات تقوّي أساس عملية النهوض وتضمن سلامة مسيرتها ، و البصائر القرآنية تشير إلى عدّة مقومات من خلال عرضها لقصة حضارة ثمود التي أرسل لها الله عز وجل نبيّه صالح (عليه السلام) ، ومن تلك المقومات:

١ / العلاقة الأخوية بين المصلح و المجتمع

العلاقة بين المصلح و المجتمع لا بد أن تكون علاقة قريبة و وثيقة كعلاقة الأخ بأخيه ، كما أشارت الآيات في قوله تعالى (إذ قال لهم أخوهم صالح) ، وكذلك نرى هذه الإشارة متكررة عند حكاية القرآن لقصص الأنبياء مع أقوامهم ، (أخوهم هود)، (أخوهم نوح) ، (أخوهم لوط) ، والقاعدة العامة

التي يعرضها القرآن الكريم لتبيان و تأسيس هذه الحالة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات : ١٠ ، فالمصلح إنما يقوم بالإصلاح بين إخوة له و أخوة فيما بينهم ، لذا ستكون عملية الإصلاح أكثر رافة و رحمة ، لأن القائد سيأخذ في حسبانته تلك الحالة الأخوية .. هذا من جهة المصلح ، أما من جهة المجتمع المتلقي فإن حالة الألفة ستولد الاطمئنان و تزيل البؤس و الوحشة عنهم ، نجد هذه الحقيقة عندما أراد نبي الله يوسف (ع) أن يزيل حالة البؤس و الوحشة عن قلب أخيه الذي لم يكن يعرفه بعد ، بقوله : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يوسف : ٦٩

و عندما يحيد القادة عن هذه الخاصية فإنهم يستعلون و يتكبرون و يهتمون بشؤونهم الذاتية و يصبحون في معزل عن هموم المجتمع و قضاياه فضلاً عن الطريقة القاسية و الخالية من روح الأخوة التي يديرون بها أمور الناس ، عندئذ ينفض الناس من حولهم و تقوم الثورات و الحركات المطالبة بإبعادهم و

إزاحتهم عن مناصبهم ، يقول تعالى :

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنِتَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾
آل عمران : ١٥٩

٢ / وضوح الرؤية و ضمانة الاستمرار

لعل أكثر الأسباب في إخفاق بعض المصلحين و
الذين أرادوا إحداث التغييرات في مجتمعاتهم كالحركات
الإصلاحية ، هو أنهم لم يأتوا برؤية واضحة و مبيّنة لحركتهم ،
لذا نراهم يتقهقرون و تقوم الظروف بإملاء شروطها و مقاصدها
على مسيرتهم ، لذا فمن المقومات التي تساهم في دفع عملية
الإصلاح والتغيير الحضاري هي الوضوح في الرؤية منذ
الانطلاق و البدء في الحركة ، نرى ذلك في قول الله عز وجل
: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ، ف(رسول)
تحديد المهمة التي جاء بها النبي ، و (أمين) تمثل عهد الاستمرار

على تلك المهمة التي جاء بها ، وهي الضمانة التي يحتاجها المصلحون لمواصلة درب التغيير حتى نهاية الطريق ، و للمحافظة على المبادئ التي انطلقوا منها ، وهي الصفة التي جاء بها جميع الأنبياء (ع) حيث تكرّرت (إني لكم رسول أمين) في قصصهم القرآنية عدّة مرات ، لذا عندما أراد عفريت من الجن أن يثبت مقدّره على المجيء بملك بلقيس ، قال للنبي سليمان : (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) ، و كذلك عندما قامت ابنة نبي الله شعيب باستئجار النبي موسى (ع) قالت معللة اختيارها هذا : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ، فإن القوّة أيّاً كان جنسها (عسكرية ، علمية ، اقتصادية ، شعبية) فإنها لا شيء إذا لم تقترن بها الأمانة.

و لتوضيح الأمر أكثر بعد توضيح المهمة التي سيقوم بها النبي و بالإضافة لضمنة الاستمرار ، قد حدّد مهام الناس بقوله : (فاتقوا الله وأطيعون) ، تقوى الله التي هي محور حركة الأنبياء و جميع الرسالات الإلهية و تلخيص جميع التعاليم السماوية .

وقد حدّد لهم طريق أخذ تلك التعاليم و القنوات التي يتبعونها ، و ذلك الطريق (طاعة النبي) التي أكّد الله تعالى عليها في كثير من آياته ، قال تعالى تَعَمِّمًا لِّتِلْكَ الطَّاعَةِ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، فالآلية التي توصل أمر الله تعالى للناس هي طاعة الرسول .

٣ / مبدئية الممارسة

من المقومات المميزة للنهوض و التغيير لأي حركة إصلاحية هي أن تكون حركتها الإصلاحية ذات منطلق مبدئي إلهي ، و هو إرادة الإصلاح و الارتقاء بالمجتمع من أجل الله ، لا من أجل المصالح و المنافع الدنيوية التي إن تحوّلت إلى ثقافة تسيّر أي حضارة فإنها تدوس على المبادئ و القيم التي تؤمن بها .. هذا ما كان واضحاً لدى الحضارات الإنسانية التي تخلّت عن المبدأ الإلهي ، فقد عجزت عن الالتزام بمبادئها و لجأت إلى منافعها و مصالحها كأساس و مقياس للحركة و للإصلاح ، لذا يقول تعالى على لسان نبيه : ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الشعراء : ١٠٩ .

إن الله عز وجل وعد المصلحين بعدم ضياع أجرهم وقال : ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ، وهذا الأجر وصفه بعدة صفات في كتابه الكريم ، ﴿أجر كريم﴾ ، ﴿أجر عظيم﴾ ، ﴿أجر كبير﴾ ، ﴿أجر غير ممنون﴾ ، ﴿أجراً حسناً﴾ . كل ذلك لكي لا يكون الأجر الدنيوي هو الأساس في التحرك نحو الإصلاح ، لما يسببه من فساد في النظام و ظلم لأكثر الناس ، فإن الفقراء والمحتاجين لا يملكون أجراً يمكن أن يكافئوا به من يملك زمام التغيير ، بينما هم أولى الناس به ، ولهذا نرى في العالم الراهن من الانحياز التام للدول الغنية والتي تحتوي على المصالح ، من قبل من بيدهم القوة والثروة ، على حساب من يحتاجون للتغيير والإصلاح بالفعل ، لتزداد الهوة بين الفقراء والأغنياء .

إن الله تعالى جعل الأجر الكبير والكريم والعظيم عنده ، لكي تحصل كل المجتمعات على الأهمية ذاتها من الإصلاح ، وإن بدا للبعض أن الأجر الدنيوي هو الأهم وهو الوسيلة للتحرك ، فإن الله تعالى يؤكد ويقول : ﴿وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا

وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿يوسف : ٥٧﴾

ظاهرة الانبهار الحضاري

من الثوابت الحضارية التي ترافق الحضارات في صعودها وتفوقها هي ظاهرة الانبهار التي تستولي على المجتمعات ، الانبهار بالتقدم الذي حققته الحضارة في الدنيا ، من الصناعة والقوة والرفاه المادي ، والموقف السلبي الذي يتخذه الإنسان بسبب إعجابه هذا ، هو حسبانته أن ذلك يكفيهِ ليعيش عيشاً رغيداً مدى الحياة ، و تساوره ظنون البقاء و الأبدية و الأمن من طوارق الليل و النهار لحضارته ، مكتفياً و متخلياً عن القوة الحقيقية التي تمنح الحياة و تهطل عليه الأمن و الرفاه ، و هي القوة الإلهية لله خالق الكون.

و يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة التي يعرضها في سياق قصّة حضارة ثمود ، بقوله : ﴿أَتَرْكُونَ فِي مَا هُنَا أَمْنِينَ @ في جنّات و عيون @ و زرع و نخل طلّعها هضيم @ و نتحتون

من الجبال بيوتاً فارهين ﴿٤٠﴾ ، (أتركون) أي أتحسبون أنكم متروكون! .

ورغم أن هذه الظاهرة هي ثابت من الثوابت الحضارية إلا أنها ليست في صالح الحضارات إذا ذهب هذا الانبهار بصاحبه إلى نكران الحقائق و المبادئ ، وذلك عن طريق تحوّل الإنجازات من وسائل من صناعة يد الإنسان و مسخرة لحياته ، إلى أساس و مقياس يقود الإنسان ليبر من خلاله الأشياء و يكون بها ثقافته ، و بالتالي تبدأ مسيرة الحضارة لتتحوّل من الصعود إلى التراجع و التلاشي ، شيئاً فشيئاً..

العودة إلى الحقائق

إن نبي الله صالح (ع) بعدما وُصف الحالة التي كان عليها قومه أشار إلى تأثير إنجازاتهم الدنيوية على ثقافتهم و غط تفكيرهم ، فهم يعتقدون أنهم وبما وصلوا إليه من التقدّم ، و ما أوتوا من قوّة (أمنين) ، مكتفين بها عن أي شيء آخر في الحياة ، فأكد النبي

(ع) لهم بعد ذلك على ضرورة العودة إلى الحقائق والثقافة الخالية من شوائب الإنجاز ومتعلقات المادّة، وهي تقوى الله و التزامها من خلال طاعة الأنبياء، قال : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

إن الله تعالى يعطينا مجموعة من البصائر القرآنية تهدينا إلى حقيقة مهمة، وهي أن مقياس الحق والصالح والاستقامة والرشد لا تتمثل في حالة الانبهار والإعجاب والحب لما نراه مبهرًا وعجيبًا ومرغوبًا، يقول ربنا عز وجل كحقيقة عامة: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة : ٢١٦ .

ويقول تعالى : ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة : ١٠٠ ، فالخبث مفهوم لا يتغير بتغير الشكل والمظهر أو بالكم والعدد ، ولا يتغير إذا سحر أعين الناس وأعجبهم حسنه الظاهري .. لذا فإن الله تعالى ينهى عن هذه الحالة في آية أخرى إذ يقول : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ التوبة ٥٥ ..

وحتى على مستوى البشر بالنظر إلى ثقافتهم التي ينطلقون منها يقول تعالى : ﴿وَلَا مَئْمَنَةٌ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ، ويقول عز وجل : ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة : ٢٢١.. فالآية الكريمة تدعونا للوصول إلى العمق لنبصر ماهية الثقافة المحركة لهذا المجتمع أو ذاك ، لكي لا تسوقنا مشاعرنا بما زينّت لها بهرجة الحضارات إلى نكران الحقائق الكبرى وصدّ الهدى و الابتعاد عن المنعم الذي أعّدق علينا تلك النعم و وفقنا للوصول إليها . وعندما رأى النبي صالح (ع) سيادة تلك الظاهرة الخطرة في قومه ، عمد إلى الإشارة إلى مصدر كل تلك الإنجازات وقال لقومه في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ هود : ٦١ ، ولكنهم لم يستمعوا إليه ، ﴿وَأَمَّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ .

لذلك نجد أن الله عز وجل ذكر بهذه الحقيقة وأكد على

الإلتزام بها ، عندما صار فتح مكة على يد رسولنا الأكرم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حيث مرحلة الانتصار و التقدم لمجتمع الإسلام عند فتح مكة ، نجد ذلك في سورة النصر ، حيث قال تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً).

استخلاصات

لقد رسم لنا القرآن الكريم صورة واضحة لظاهرة الانبهار التي تنتاب المجتمعات ، عبر عرضه لمسار الحضارات الماضية موجهاً الحديث للإنسان في كل زمان وفي كل البقاع ، ونرى المشهد الراهن لواقعنا المعاصر أنه لم يحد عن تلك المعادلة التي تحدت عنها القرآن الكريم ، فالمجتمع الغربي و تبعه الكثير من أفراد المجتمعات الأخرى قد تلبسهم الانبهار برونق الحضارة الغربية لما وصلت إليه من إنجازات صناعية و تكنولوجية ، فانساقوا وراء تظاهراتها ، غافلين أو متغافلين عن المحتوى القيمي و الثقافي لتلك الحضارة ، مقبلين عليها بكلها .

وقد أشار القرآن الكريم لذات الأدوات التي تستخدمها القوى الغربية للتأثير على الناس ، منها المنجزات الصناعية التي وصلوا إليها، إضافة إلى الحالة المدنية و استخدام الوسائل الفارهة ، كما أنهم يستعينون بما أشار إليه القرآن في كثير من آياته ، يستعينون بالنساء و القوة العسكرية و الترف المادي و نمط المعيشة كأغراء يجتذب الناس نحو الحضارة الغربية.

ولكن ليس ذلك هو المقياس الحقيقي للتفوق الحضاري ، وإن كان التفوق العلمي و الصناعي يعدّ ميزة ايجابية و نجاح يحتسب ، إلا أنه ليس مقياساً ، و لا ينبغي أن يحجب عنا الحقائق و الهدى ، إنما ينبغي أن يكون ذلك معيناً لنا و مقرباً للهدى و الرشد ، لأنه بفضل من الله تعالى الذي أنشأنا من الأرض و استعمرنا فيها.

المسؤولية الحضارية

في حركة الإصلاح الحضاري لا يكفي التوجّه في العملية الإصلاحية نحو (المفسد) المباشر لعملية الإفساد فحسب ، بل إن للعمل على المستوى الاجتماعي أهمية فاعلة ، فهي حركة

إعلامية ضاغطة على المفسدين لما يعيرونه من أهمية للرأي العام ، وهي أيضاً - أي الحركة على المستوى الاجتماعي - تشكيل وعي عام مدرك للمشكلات الحضارية القائمة ، لتكون لديه المقدرة على تجاوزها أو المطالبة بإصلاحها ، مما يساهم في إفشال كل السياسات التي تعمل على الإفساد ، وتبطل مفعول الهيمنة للمفسدين .

و الخطاب في الآيات التي وجهها نبي الله صالح (ع) ، إنما هو خطاب موجّه للمجتمع ، ولكنّه خطاب حضاري ، أي مستوعب للقضايا الحضارية الكبرى ، وذلك في قوله تعالى : ﴿... ولا تطيعوا أمر المسرفين ...﴾ .

الدخول في دائرة المفسدين

لا يشترط للدخول في دائرة المفسدين أن يكون الإنسان ممن يضع تلك السياسات والمخططات ، بل الامتثال لها من قبله يُعدّ دخولاً فيها ، وذلك لأنّ المفسد لا يستطيع إجراء خطئه إلا إذا وجد شريحة عريضة من المجتمع تستجيب لما يرسم من

مخططات ، فهنالك مسؤولية حضارية ملقاة على عاتق المجتمع و عليه أن يتحملها ، وهي وعي السياسات الكبرى والمخططات والأحاييل ، وعدم دعمها لبلوغ أهدافها ، لذلك وجهه نبي الله صالح (ع) الخطاب للناس قائلاً : ﴿ لا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ ناهياً عن إطاعة أمرهم ، وهو المسار الذي يتبعونه لإشاعة الفساد ، فإننا نرى بالرغم من أن الذي قام بجريمة عقر الناقة في قوم صالح (وهو فعل إفسادي) شخص واحد ، كما في قوله تعالى : ﴿ إذ أنبعث أشقاها ﴾ ، فإن الله عز وجل قد أطلق على ثمود وصف العقر ، فقال عز شأنه : ﴿ فعقروها فأصبحوا نادمين ﴾ ، وأيضاً عندما جاءهم العذاب ﴿ فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ .

قياس مستوى المجتمعات

وعلى ذلك فإنما تقاس المجتمعات في مستواها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأخلاقي وغيره ، بنسبة الأكثرية ، كما أشارت الآية الكريمة : ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾

إشارة إلى قوم صالح الذين عبّرت عنهم الآيات في البدء بـ ﴿كذّبت ثمود المرسلين﴾ ، كحكم ووصف لحالة مجتمع ثمود ، فإذا كان أكثر الناس في مجتمع ما فاسدين جاز لنا أن نطلق عليه بأنه مجتمع فاسد ، وإذا كان أكثرهم صالحين ، جاز لنا أن نصفه بالصلاح ، مع التأكيد على نقطتين في هذا المقياس :

الأولى : أن الرّاضين بفعل المفسد أو المصلح أو الممثل لأمره إنما يصنّف من فئة المطاع ، كما نهت الآية عن (طاعة أمر المفسدين) وأمرت بطاعة (الله والنبي) الذين يمثلون الإصلاح.

الثانية : وسم المجتمع بأنه يعيش ضمن حالة سلبية أو إيجابية ، لا يعني احتساب المغايرين لهم معهم ، بل لابد من حفظ الاستثناء وتقدير مواقفهم ، فإن الله تعالى استثنى من قوم صالح المؤمنين ، من العذاب وقال : ﴿وأنجين الذين آمنوا وكانوا يتّقون﴾ .

ويجدر الالتفات إلى أن الآيات الشريفة في سردها لحضارة ثمود تشير إلى أن الذي يقوم بالإفساد إنما هم

مجموعة صغيرة مكوّنة من تسعة أشخاص ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ النمل : ٤٨ ، وقد ذهب سياق الآيات إلى أبعد من ذلك ، فهي تحكي لنا أن تحالفاً و ترابطاً منسقاً يجمع أولئك التسعة ، يقول تعالى : ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ النمل : ٤٩ .

وهذا ما يتجسّد في واقعنا الراهن فيما نراه من هيمنة الحكومات كأفراد و جماعات قليلة على الرقع الاجتماعية الواسعة ، بل و يتّضح ذلك لنا على المستوى الحضاري العام في مرحلة العولمة ، من استثثار بعض الشركات الكبرى على مقدّرات العالم و هيمنتها على ثقافته و سياسته و اقتصاده و سلوكه ، والتي يقدر عددها بـ ٥٠٠ شركة كبرى حول العالم تحصل على أموال هائلة تقدر نسبتها بنصف المدخول العالمي ، و ينحصر عدد المؤثرين أكثر ، في السلطة التي تبعث بتوصياتها و تعليماتها المهيمنة ، و هي البنك الدولي ، و صندوق النقد الدولي ، و بعض الوكالات المتخصصة للأمم المتحدة ، على

تفصيل لسنا بصدد.

طريق النجاة

رغم التحديات الهائلة التي تواجه الدعاة المصلحين ، إلا أنهم لا يفترون من الدعوة إلى الله و الحق و الصلاح ، ورغم التأثير على السواد الأعظم من الناس من قبل القوى المهيمنة بثقافتها المفسدة ، فإن علينا كمجتمعات أن نتحمل مسؤوليتنا الحضارية ، بأن لا نستوحش طريق الحق لقلّة سالكيه ، فإن دعوة النبي صالح (ع) كما لاقت الرفض لاقت كذلك القبول وإن كان من الأقل عدداً ، ولم يصدّهم انبهار الأكثرية و انسياقهم نحو ثقافة الفساد من الإقبال على الحق ، يقول تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ النمل : ٤٥ ، هذا ما ينبغي أن يرسم في ذهنية المجتمعات ، لأن إتباع ثقافة الصلاح و الإصلاح ولو كانت مع القلّة ، توجب النجاة في الدنيا من مخاطر و مزالق الإفساد و وحل الفساد ، و كذلك النجاة في الآخرة لتشملهم الرحمة

الإلهية الواسعة ، يقول ربنا عز وجل : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ هود : ٦٦ .

الانهيار الحضاري

لكل حضارة أجل حتمي ، كما قال تعالى : ﴿ ولكل أمة أجل ﴾ ولكن كل حضارة لابد أن تعمل على إطالة عمرها بثبات قدمها على نهج الحق ، وحتمية الأجل تقرّر عدم الأبدية لأي حضارة مهما بلغت من تحقيق الإنجازات و التطورات ، و يمكن أن تطول المدة حتى يأذن الله بالنهاية ، كأن يندلع يوم القيامة .. وقبل ذلك تواجه الحضارات خطر الانهيار و التحطم ، حتى تلك التي أبلت بلاء حسناً ، وتفوّقت على مثيلاتها ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

النحل : ٩٢.

ونبي الله صالح (ع) أمر بطاعة الله ورسوله ، الأمران اللذان يمثلان مسار الصلاح ، للمحافظة على المكتسبات الحضارية التي لديهم ، ونهاهم عن طاعة أمر المسرفين ، وقال (ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون).

الإسراف الحضاري

إن العمل الذي يحقق الانهيار ويسبب الفساد في الأرض كما عبّرت الآيات ، هو فعل (الإسراف) وبما أنها تتحدث عن الإفساد على مستوى الأرض وهو مستوى عريض من التأثير ، فإن الإسراف الذي يؤثر ذلك التأثير ، لن يكون كالإسراف المتبادر على المستوى الشخصي ، بل هو إسراف على المستوى الحضاري .

وعندما نتبّع آيات الله عز وجل في كتابه العزيز ، ستتكشف لنا عدّة حقائق في مجال الإسراف الحضاري ، تبين لنا معالمة الواضحة عن طريق عرض أشكاله المختلفة ، و نتبين معالمة المعاصرة :

• في الجانب الغذائي يقول عز وجل : ﴿وكلوا واشربوا

ولا تسرفوا ﴿١﴾ .

• وفي جانب إدارة الإنفاق : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ .

• وفي الجانب الأخلاقي والسلوكي : ﴿إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ .

• وفي جانب الحروب و الإبادة والجريمة : ﴿فلا يسرف في القتل﴾ .

• وفي جانب الحكم وممارسة الظلم الشامل : ﴿إن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين﴾ .

وفي عرض واضح للعمليات الاقتصادية التي لا تراعي حقوق المحرومين ، وتقوم بإتلاف المحاصيل و الأغذية عوضاً عن توزيعها أو بيعها بثمن زهيد على الشعوب التي تعاني خطر المجاعة و ألم الجوع ، وهو حق من حقوقهم ، كما يقول عز وجل : ﴿في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ .. تعرض الآيات هذا المشهد وتحتّ على التزام العدل وإعطاء كل ذي حق حقه ، يقول تعالى : ﴿وهو الذي أنشأ جنّات معروشات

وغير معروشات و النخل و الزرع مختلفاً أكله و الزيتون و
الرّمان متشابه و غير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر و أتوا حقه
يوم حصاده و لا تسرفوا إنه لا يحب المرفين❦.

فمن علامات الإسراف الحضاري الانشغال بالترف
المادّي، و إساءة توزيع الثروات، و تفشّي الأمراض السلوكية،
كالزنا و الشذوذ الذي أصبحت له منظمات للدفاع عنه في عدّة
دول و قد قامت بعض الدول بتشريع الزواج المثلي و الاعتراف
به كزواج اعتيادي، و من هذا الإسراف هو الانشغال بالحروب
و قتل الأبرياء، و الطغيان، و عدم العدل في الحكم.. هذا
هو الإسراف الذي يهدّد الحضارات بالانهيار.. و هذا ما نراه
ماثلاً أمامنا في الحضارة الغربية عبر سياسة الحكومات الظالمة، و
اللهث وراء الكسب المادّي الجشع، و إشاعة المنكرات و الفواحش
، و ما شابه ذلك.. فإن ما وصلت إليه هذه الحضارة من تقدّم
لا يشفع لها، و لا يعطيها ضماناً الاستمرار دون الرجوع عن
الانحراف و سياسة الإسراف، و الاعتراف بـ❦ ربنا اغفر لنا
ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا❦.. وإلّا❦ فتزلّ قدم

بعد ثبوتها)، لذلك نهت آيات الذكر الحكيم عن اتباع سبيل
المسرفين و التشبه بأعمالهم و تقليديهم في إسرافهم

انهار يتجاوز العقل

رغم وضوح الرؤية و اقتراب الانهيار ، بل و العيش في
الانهيار ، فإن الشيطان يضرب على العقول التي لم ترتبط
بالله ، فيزيّن الشيطان لهم سوء أعمالهم و إسرافهم ، كما يزيّن
للبعض المباني الفارهة ، و البطر المعيشي ، و امتلاك الأسلحة
القنّاعة ، و شبكات التحلل و الجريمة المُنقّعة و غيرها .. قال تعالى
﴿كَذَلِكَ زَيَّنَ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ، فلا يستوعبون
الحقائق ، فيجادلون ، كما جادلت ثمود صالحاً (ع) و ﴿قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ وقد ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ .

الامتحان الواقعي

الامتحان الحقيقي يتمثل على أرض الواقع ، الذي يبيّن

هل أن الإنسان سار وفق القانون والسنة الطبيعية العادلة للكون،
أم أنه عاث فيها فساداً ؟

فعرض الحقائق يبين المستوى الذي تحتله تلك الحضارة
، قال النبي صالح (ع) لمحاوريه : ﴿ قال هذه ناقة لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
يوم عظيم ، فعقروها فأصبحوا نادمين ﴾ ، فإن امتحان الناقة
امتحان على أرض الواقع المعاش ، حيث يتضح خرقه من خلال
الملازمة و المعايينة ، إذ وضع الله القوانين التي تحفظ التوازن بين
جميع الناس و كافة الأمم ، ولكي نستظهر قانون الإنصاف و
العدل و الأمن الاجتماعي و الامتحان الحضاري ، نرى أن قانون
التوازن جاء في هذه الآية ليحدد الوقت ﴿يوم معلوم﴾ ، ويقول
تعالى في آية أخرى عن نعمه للخلق و خزائنه : ﴿ وإن من شيء
إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ ، فالقدر و اليوم
المعلومان ، متعلقان بحقوق الناس من نعم الله ، كما في الآية
الكريمة : ﴿ في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ فالقانون
هو ﴿ إعطاء الحق المعلوم ، في اليوم المعلوم ، بالقدر المعلوم ﴾ ،
وهو قانون الإنصاف و العدل و عدم الإسراف ، قانون الأمن من

الانهيار الحضاري .

وقد فشلت ثمود في الامتحان الواقعي وتعدّت على القدر المعلوم ، قال عز وجل : ﴿إنا مرسلوا الناقة فتنه لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ، كل شرب محتضر . فنادى صاحبهم ، فتعاطى فعقر﴾ سورة القمر ٢٧ - ٢٩ .

بعد عرض الحقائق لابد أن تهتز الأنفس ، وتنفضّ الكتمان من فوق العقول ، ليبصر الإنسان ما قدّمت يداه ، ليعيش حالة الندم ﴿فأصبحوا نادمين﴾ ، ومن يلتزم الغفلة ويفضلّ العيش في وحل الشهوات و انتهاج نهجها ، فإن عذاب الله يكون نهايته ، ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾ ، وذلك هو الانهيار . فأي حضارة تعبت في هذا القانون الحقوقي ستعيش حالة التفكك و التصدّع لتبدأ مشوار الانهيار .

**حوار الحضارات وجاهزية التفعيل
مداخل قرآنية**

حوار الحضارات وجاهزية التفعيل مداخل قرآنية

إن الاشتغال بمعالجة طرق التواصل الإنساني بين
البشر هو من أول الشروط السابقة لفعل التواصل الذي يؤدي
بالبشرية إلى منافعها في الحياة ، و هو البداية الفعلية للوصول
إلى العيش الرغيد و الحياة الطيبة الهانئة على مستوى الإنسانية
بعمومها من دون استثناء أحد منها.

وبعد أن انبثقت المعالجات الفكرية في التأسيس للتواصل
بين أنواع الإنسان المختلفة المنسكبة في الأطر الحضارية أو
الثقافية ، ظهرت أمامنا عدّة جدليات انحصر الخيار في (الحوار)

كمبدأ للتواصل بينها أو (الصدام) كحتمية يروج لها البعض أمثال المفكر الأمريكي صومئيل هينتيجتون في نظريته (صدام الحضارات) و فوكوياما في نظريته (نهاية التاريخ) ، ولا شك في أن الغالبية العظمى من المفكرين و العلماء قد أطبقوا على نبذ الصدام الذي يؤدي إلى التشرذم و الشتات و الفشل و السقوط إلى الهاوية التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى ، و لم يقتصر رفض حالة الصدام على المفكرين الإسلاميين و العرب فحسب ، بل شمل مفكري الغرب و الشرق .

و إذا ما تفحصنا البحوث و الدراسات الأخيرة في هذا المجال ، أي التي ناقشت خيارات التواصل الإنساني ، فإن ما نخرج به من نتاج هو التسالم على قبول حالة الحوار بين الحضارات و الثقافات و المجتمعات و الأفراد ، و من الحكمة أن لا نبدأ بتأصيل حالة الحوار في الأبحاث الجديدة بالشكل الأولي للتأصيل و كأنه بحث جديد للتوحيث ، و أن لا نقوم بتكرار ما قيل و ما تم إثباته ، لأن ذلك اجترار للحديث ، و هذا يضرّ بتطورّ البحث و يعطلّ سياقه التقديمي .

فهذه ملاحظة نسجلها على البحوث الأخيرة التي عاجلت

هذا الموضوع و لم تبدأ مما انتهى منه الآخرون ، بل تكلفت و تكبدت عناء البحث الذي سبق بحثه و بنفس الأسلوب و بنفس السياق و بنفس المداخل و صولاً لنتائج واحدة متفق عليها ، بل و الوقوف عندها دون التحرك بالبحث إلى خطوة أخرى تدفع باتجاه التفعيل .

لذا لن أقوم هنا بالحديث عن التفاضل بين الحوار و الصدام بين الحضارات و الثقافات ، فما أنتجته تراكمات البحوث الأخيرة هو أن الحوار أصبح خيار العقلاء في كل مكان خصوصاً في السرب الإسلامي الذي لم نر شاذاً فيه عن هذا الاتجاه ، و أحاول في هذا البحث أن أسلط الضوء وأركز على الطريق إلى تفعيل الحوار و نقله من الأطر النظرية إلى الساحة العملية ، و ما يتوجب لذلك من مقدمات .

فننطلق من حقيقتين مهمتين هما :

الأولى : الإيمان بالحوار كأساس مقبول لإجراء

عملية التواصل الإنساني .

الثانية : الإقرار بالتنوع كواقع لا يمكن نكرانه أو

تجاهله.

ماهية الحوار

من المؤكد أن الحوار آلة و وسيلة و ليس هدفاً و غاية ،
إذ هو أداة للتواصل بين الحضارات ، و لذلك ينبغي أن تحدد
الغايات من الحوار و أن نركّز عليها و نظهرها ، لنخرج بصورة
أجلى للحوار ، تعبّر عن جدوائية حقيقية ترتكز في الذهنيات و
القناعات من أجل تثبيتها ، فعندما يغيب الهدف ستغيب تبعاً
له الحماسة طلباً لتفعيل الحوار ، وستغيب الفائدة المرجوة منه في
الأساس.

ولعل مقدمة الوصول إلى غايات الحوار هي معرفة أبعاد
التنوّع الإنساني الذي تنبني على أساسه سياسة الحوار.
لقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
اتَّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات : ١٣ .

فالتنوّع البشري واقع محتوم ، و متشعب بكثرة ،

فالخطاب القرآني يشير إلى الناس كافة ، الناس الذين خلقوا من ذكر و أنثى ، بأن الله جعلهم (شعوباً و قبائل) و الشعوب هي الجماعات الكبيرة ، و القبائل هي الوحدات الإنسانية الأصغر منها ، و الشعب متنوع و متعدد ، و كذلك القبائل ، مما ينتج عنه تفرع كبير يرسم واقع الإنسانية ، و عندما يتصور الشعب مع شعب آخر و شعب غيره ، و القبيلة مع غيرها في داخل شعبها ، و مع قبيلة أخرى خارج شعبها ، فإننا سنكون أمام تعقيد كبير من التواصل الإنساني ، فعندما ننظر إلى الحوار من خلال هذا التعقيد و التشابك فسيكون أكثر واقعية .

فلو ألقينا نظراً على واقع التنوع البشري على مستوى الحضارات لرأينا أن هنالك خمس حضارات اليوم (حسب رأي بعض المؤرخين) وهي خمس فصائل متبقية من حضارات قديمة ، تنتشر الآن بقاياها على ربوع الأرض ، وهي :

١ / الحضارة الغربية الأوروبية المسيحية .

٢ / الحضارة الأوروبية الشرقية المسيحية الأرثوذكسية

(روسيا وجنوب شرق أوروبا) .

٣/ الحضارة الإسلامية و موطنها الشريط الصحراوي
المداري الذي يبدأ عند المحيط الأطلسي ، و يستمر إلى سور
الصين ، و يشمل مناطق استوائية واسعة.

٤/ الحضارة الهندية في شبه القارة الهندية و معظمها
استوائي.

٥/ الحضارة الشرقية القصوى التي تقوم في وسط الشرق
الأقصى الآسيوي المعتدل و جنوب شرق آسيا الاستوائي ٣٢ .
ولكن البعض يرى تسميتها بالثقافات ، مرجحاً مقولة
الحضارة واحدة لا تعدد ، و هي ليست ملكاً لأحد و لكن قد
يسيطر عليها كيان ثقافي ما ، كما هو حاصل الآن من هيمنة الثقافة
الغربية على الحضارة ، فتلك المجاميع و البقايا إنما هي مجموعة
ثقافات ٣٣ ، و لكن هذا لا يثني البحث عن مبتغاه.

هذا هو التنوع على مستوى الحضارات ، أما التنوع على
مستوى الأديان فإن هنالك الديانات الثلاث السماوية ، و هي
الإسلامية ، و المسيحية ، و اليهودية ، و غير السماوية كالهندوسية

٣٢ / مؤنس ، د . حسين ، الحضارة ، عالم المعرفة ١٩٩٨م ط٢ ، ص ٢٢٠

٣٣ / كما هي رؤية هاني إدريس في كتابه (حوار الحضارات) .



و البوذية ، و السيخية ، و الشنتو ، وأديان الصين الشعبية و غيرها الكثير .. بل و أن هذه الديانات تتكوّن من تقسيمات و مذاهب ، فالإسلام وحده يشتمل على تقسيمات مذهبية كثيرة وهكذا .. وإذا نظرنا إلى التنوّع على مستوى الدول و هي التي تأخذ احترامها من سيادتها و دستورها ، فهناك ما يقارب من ١٩٣ جزءاً جغرافياً هي عدد الدول في العالم .

ناهيك عن الجماعات و الأحزاب التي تتنوّع بشكل واسع و كبير في هذه المساحات المختلفة ، كذلك التنوّع في المواصفات الذاتية و الألسنية ، فقد (أبان العلماء أن هناك حوالي ٣٠٠٠ لغة منطوقة في العالم اليوم ، ولا تدخل اللهجات في إطار هذا العدد ، وهي أشكال محلية اللغة ، وهناك لغات كثيرة تتكلّمها مجموعات صغيرة مكوّنة منبضع مئات أو آلاف من البشر ، كما توجد أكثر من مائة لغة يتكلّم بكل منها مليون أو أكثر من الناس ، ومن بين هذه اللغات توجد ١٩ لغة يتكلّم بكل منها ما يربو على ٥٠ مليون نسمة) ٣٤ .

٢٤ / الصفار : حسن ، التنوّع والتعايش ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٢٠



وقد قال تعالى إشارة إلى هذا التنوع الهائل في البشرية:
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم : ٢٢، والإمام
أمير المؤمنين (ع) يقول : (وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطاح
عليه الناس قبكري بينهم ، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة
بالسن مختلفة) ٣٥ .

أردنا من استعراض هذا التنوع والاختلاف ، للوقوف
عنده كحقيقة لا يمكن تجاوزها ، ولا بد من التعاطي معها بألية
الحوار ، وكذلك لنبيّن أهمية أن المضى في عملية الحوار رغم
الصعوبات التي قد تعترض هذا المشروع والمطلب ، ولنرى
ضعف الموانع التي قد يضعها البعض لنقل الحوار بين الحضارات
والثقافات في خانة الأمكن .

إن تقسيم الإنسانية إلى وحدات كالحضارات والثقافات
و الدول و الجماعات ، يتيح لعملية الحوار أن تلقى طريقها و
تفعل في اتجاه التواصل و التكامل الحضاري ، و الإشكاليات

٣٥ / الصفار : حسن ، التنوع والتعايش ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٢٠

التي وضعت كحجرة عثرة أمام تقدّمه ، إنما هي بسبب إغفال هذه التقسيمات و عدم وضعها في الحسبان .

و لقد وقفنا أمام آراء أغفلت أهمية ملاحظة هذه التقسيمات وصعوبة إلغائها ، طالبت بأن يكون الحوار شاملاً ، أولاً يكون البتة ، إما يفعل بعمومه على جميع المشارب أو لا يكون ، لذلك نرى أن البعض يضع شروطاً ليست واقعية و غير ممكنة تسبق عملية الحوار ، مستفادة من طبيعة الواقع و معطياته ، و متأثرة بسلبياته ، و هذه الشروط من قبيل (تضييق مفاهيم المصالح الوطنية والأقسام الوطنية (الشعب .. الدولة) ٣٦ بمعنى إزالة الحواجز بين الدول ذات الطابع الحضاري الموحد و تحطيم التوترات القائمة بينها ، لكي تكون كل مجموعة من الدول تمثل كتلة حضارية واحدة ولا تمثل سيادة الدولة .. بالطبع مطلب إزالة الحواجز والحدود المصطنعة قد يسبب بعض المشكلات ، ولكن لا ينبغي أن نضعه عائق للحوار .. و الحديث عن مثل هذه الصعوبات كالنقش على الماء ، خصوصاً أننا نرى في جانب

٣٦ / حقيقت ، سيد صادق ، حوار الحضارات و صدامها ، دار الهادي ، بيروت ، ٢٠٠١م ، ط ١ .

آخر من علاقة الدول (المتحدة في المضمون الحضاري الواحد) ما تضج به من خلافات حدودية ، و سياسية وغير ذلك .
و البعض يشير إلى شروط عملية تسبق حالة الحوار على مستوى الحضارات ، كإيقاف سياسة السيطرة وممارسات الهيمنة ومطامع التوسع في المصالح من قبل الأنظمة التي تسعى في هذا الاتجاه ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، و المنظومة الغربية.

عندما نحمل هذا الشرط بكليته ، فإننا ولكي يكون الحوار ممكناً ، يتلزم علينا أن نتّجه ناحية أمريكا اللاتينية و تعديل الحالة الاقتصادية فيها ، و التوجه نحو ماليزيا وإيقاف الانهيار الاقتصادي ، و كذلك في أفريقيا لرفع معاناة المجاعة و الاقتتال العسكري ، و في الاتجاه الإسلامي لابد من إزالة الاحتلال الإسرائيلي و اقتلعه من الجذور ، و تنظيف الدول الإسلامية و الخليجية من المطامع الغربية و الأمريكية .. و ما إلى ذلك من القائمة التي تطول في هذا المقام .

في هذا التصوّر ستكون مسألة الحوار غير ممكنة التحقق

، لأننا لو ألقينا النظر في أي بقعة من العالم سنجدنا تعاني من مشكلة من المشكلات ، و سنجد أغلب الدول قد تصادمت مع جيرانها ، و بعضها قد ارتكب في حق الآخر جريمة من الجرائم . ولتخطي هذه الإشكالية الواقعية ، و لدفع عملية التواصل الإنساني بآلية الحوار إلى الأمام ، لينتقل إلى دائرة الفعل ، نقترح أن نلاحظ مداخل ثلاثة لتصور موضوع الحوار ، و وضعها ضمن أي صياغة تهدف التفعيل .

المدخل الأول

لا بد أن ننظر للتقسيمات الحضارية الراهنة التي أخذت تسميتها عبر القوالب المعاصرة بدءاً من تشكّل الدولة الحديثة إلى قاعدة المجتمع ، فذلك يضعنا أمام ثلاثة قوالب رئيسية نصبّ مادة الحوار فيها لتأخذ تشكلاتها و هي :

١ / حوار الساسة ، الذي يتمثّل في الحكومات و رؤوس الدول ذات السيادة .

٢ / حوار النخب ، التي تتمثّل في المفكرين و المستشارين

، و المراكز البحثية و الدراساتية ، و المؤسسات الثقافية و التعليمية و ما شابهها .

٣ / حوار المجتمع ، و هو الشريحة التي تعيش في هذه البلد أو تلك ، و المتأثرة أو المقتنعة بنمط من الأنماط ، و نقصد هنا المجتمع كأفراد متأثرين بما حولهم ، فكل فرد له كيانه و له شخصيته المتشكلة ، و عليه أيضاً مسؤولية ما و واجب ما .

فأي كتلة حضارية أو كيان ثقافي لابد أن يؤسس له قنوات حوارية مع هذه القوالب الثلاثة ، ليتعاطى معها ، حسب الاقتدار و الإمكان ، إذ ليس بالضرورة الجمع بينها ، و بهذا سيحصل فعل متشابك يؤسس لحالة حوار عامّة .

المدخل الثاني

من جهة أخرى علينا أن نحدّد غايات الحوار و أهدافه بوضوح تام ، ليتمكن على أساسها معرفة ما يصعد لدرجة الفعل ، و ما لا يمكن إلا أن يقابل بالقطيعة ، و يمكننا وضع عدّة غايات ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ / الحوار من أجل التعايش ، للوصول إلى الأمن الاجتماعي .

٢ / الحوار من أجل التعاون في الخيرات ، لتسخير المادة لصالح الإنسان وليس العكس .

٣ / الحوار من أجل بيان الحق و معرفة الباطل على مستوى العقيدة و المعارف .

٤ / الحوار من أجل التعارف ، ليفهم كل طرف الآخر على حقيقة رؤى الطرف المقابل ، لتنتفي العداوات ، لأن (الناس أعداء ما جهلوا) كما يقول الإمام علي (ع) .

٥ / الحوار من أجل الاكتساب على المستوى المعرفي و التقني وغيره .

المدخل الثالث

لابد من النظر للحوار أيضاً من جهات موضوعية أخرى ، كالحوار على أساس الموضوعات ، فقد يكون الموقف في موضوع من الموضوعات هو القطيعة ، ولكن قد يتطلب الحوار في موضوع مغاير

من ذات الجهة ، فالحوار هنا نسبي وليس كلياً ، وتشعب من هذا المدخل قائمة طويلة بطول تعدد الموضوعات المكوّنة للحضارات .

الملامح القرآنية لمداخل الحوار

لقد استفدنا تلك المداخل الثلاثة لتفعيل الحوار في أرض الواقع من بصائر القرآن الكريم بشكل عام ، و يمكننا أن نعرض ملامحها بشكل سريع .

لقد قام الأنبياء بمحاورة رؤوس الأقوام و ملوكهم ، فموسى (ع) حاور فرعون ، و قد حاور نبي الله سليمان وقد كان ملكاً ، ملكة سبأ بلقيس ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأعراف : ١٠٤ ، فخاطبه فرعون : ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الأعراف : ١٠٦ ، وهكذا يستمر بينهما الحوار .

وقد قال تعالى في شأن سليمان وبلقيس : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ النمل : ٢٨ ، فلما وصل الكتاب إلى ملكة سبأ جمعت المستشارين

لتتداول معهم الرأي : ﴿قَالَتَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ النمل : ٣٢ .

وعن إبراهيم (ع) : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة ، آية ٢٥٨ .

و جاء الحوار في بعض المواضع ليكون مع النخب و الكبراء من القوم ، كما هو الحال بين النبي موسى و السحرة ، قال تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ الأعراف : ١١٥ .

و جميع الأنبياء نزلوا بالحوار إلى ساحة المجتمع لينخاطبوا الناس بشكل مباشر و من دون وساطة السلطة أو حتى الكيانات العلمية ، فقد خاطب نبي الله صالح قومه : ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ

أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿النمل : ٤٧﴾

وحوار عيسى (ع) مع قومه :

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ .
وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ
قَوْمٌ خَصِمُونَ .

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي
إِسْرَائِيلَ ۚ﴾ الزخرف : ٥٧- ٥٩

كما مارس الحوار الناس فيما بينهم ، ﴿فَقَالَ لَصَاحِبِهِ
وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ، ودخل جنته وهو
ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً ، وما أظن الساعة
قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ، قال له
صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من ثم من
نطفة ثم سواك رجلاً﴾ الكهف : ٣٤ - ٣٧

ولا يخلو الحوار من ممنوعات عندما يرى طرف أنه تتخلله
مآرب شيطانية ، يقول تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام :

١٢١ ، فقد تكون القطيعة في موضوعات ، والحوار في غيرها
مع ذات الجهة ، كما في الآية المباركة : ﴿وَإِذْ رَأَيْتَ الَّذِينَ
يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي
حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى
مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام : آية ٦٨ .

رؤية قرآنية في الإعلام و الثقافة مدخل تأسيسي

رؤية قرآنية في الإعلام و الثقافة مدخل تأسيسي

إن عملية تسلل المعلومات و الأنباء الخاطئة و الكاذبة إلى عقل الإنسان ، وإلى المجتمع بشكل عام هي مسألة مهمة جداً ، بل و خطيرة ، لأنها تدخل في التكوين الفكري للإنسان لتؤسس للقاعدة التي يبني عليها أفكاره و آراءه و متبنياته ، و بالتالي فإنها تؤثر على عالم الفعل و الحركة ، فترسم المواقف و

الاتجاهات، فالعلاقة وثيقة بين الإعلام والثقافة من جهة تأثير الأول على الثاني.

و لأن هناك حساسية في المواقف تجاه الأشياء و الناس ، باعتبار أن الظلم و الخطأ قد يقع على الطرف الآخر ، تأتي أهمية معالجة توافد المعلومات للعقل و للمجتمع ، و كذلك لكي لا يقع العقل فريسة الجهل و التعميه و التظليل .

و تزداد أهمية هذا الموضوع في العصر الراهن بسبب ازدياد المنافذ الإعلامية و بساطة انتشارها و الحصول عليها ، لذا ينبغي أن ننظر بشيء من الدقة و الأهمية عبر التعمق في الآيات التي تتحدث عن هذا الموضوع ، و أن نتواصل مع تسلسل الآيات ، لتعطينا البصائر و النور في هذا الموضوع ، الذي باتت فيه السلطة الإعلامية سلطة أولى بحسب الواقع و ليست الرابعة كما يدعى .

و يمكن أن ندخل في موضوع الإعلام في البحث القرآني من خلال قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ

بَنَاءٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَادِمِينَ ﴿ الحِجْرَات: ٦.

و تتوجه لتفكيك الآية و متابعة دلالاتها القرآنية في
سائر الآيات الكريمة في القرآن الكريم ، لتعطينا البصائر حول
المسألة الإعلامية ، لتؤسس لقواعد عامة يمكن الاستفادة منها
في أي وقت و في أي مكان ، باعتبار أن القرآن الكريم خالد و
صالح لكافة العصور.

من هو الفاسق ؟

و نحن في عالم الآلات حيث نستقبل المعلومة عن طريق
الأجهزة المتوافرة لدينا كالتلفزيون ، و شبكة الانترنت ، و الراديو
، و الصحف و المجلات ، فإننا ينبغي أن نحدد مواصفات العمل
لكي نطبقه على المسمى ، و بالطبع فإن الآلات لا تنطق بنفسها
و لا توجه بذاتها و إنما يقوم بتسخيرها الإنسان ، و الذي يتمثل
في جهة أو شركة أو دولة أو منظومة ثقافية معينة ، يسخرونها في
تحقيق مآربهم.

فعندما نتعرف على المواصفات المتعددة و المصاديق المختلفة للفاسق من خلال القرآن ، ينبغي أن نطبقها على الواقع لتتعرّف بها على الأشياء و لكي يكون القرآن بحق نوراً نسعى به في الناس و الحياة .

وقد جاءت الآية لتعبر عن تلك الجهة التي ينبغي الحذر منها بخصوص المعلومة بالفاسق ، ويمكن هنا أن يكون الفاسق مفهوماً عاماً يشمل عدّة مصاديق تختلف في المسمّى ، ولكنها تتحد في العمل و في طبيعة المآرب ، و عندما نكتشف الفاسق عبر التسلسل القرآني ، فلا بد أن نأخذ الحيلة منه كما دعت إليه الآية الكريمة عبر فعل التحقّق و التبيّن الذي سنأتي على ذكره .

و من خلال متابعة القرآن الكريم في مواصفات الفاسق ، نكتشف مجموعة منها و هي :

١ / الفاسق هو المنافق

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ التوبة : ٦٧ ، و استفادة من هذه الحقيقة القرآنية التي عرّفت المنافق بأنه هو

الفاسق ، و الذي يستلزم أن النتيجة العكسية صحيحة لقانون التساوي ، فإن الفاسق هو المنافق كذلك ، و عليه فإننا ينبغي أن نتحرى المواصفات التي يتصف بها ذلك المنافق ، حيث أنه أحد الجهات التي ينبغي أن نقف أمامها موقف الحذر من المعلومة التي يبثها وينشرها بين الناس ، لأن الآية التي تلونها في البداية ستشمله ، أي أن المنافق إذا جاء نبأً فينبغي أن نتبين منه و نتحقق من مصداقيته ، و من خلال تتبع القرآني لمفردة المنافق سيتضح لنا سبب هذا الحذر و الدوافع التي تجعل المنافق يدلي بمعلومات خاطئة و ينشرها في المجتمع .

النفاق مرض قلبي ، حيث يقول تعالى : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ التوبة : ٦٤ . فصفة النفاق محلها القلب ، بحيث تستتر عن المعاينة ، و لذلك فإنهم يحذرون من أن تظهر للعيان تلك الصفات و هذه الحالة هي التي تشكل الدوافع لأعمالهم ، إذاً فهو يقولون و يظهرون خلاف ما يبطنون ، و عندما يكون هذا الشخص أداة إعلامية فهو بلا شك سيقوم

بذات الفعل .

وَلَا يَصْدُقُونَ قَوْلَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ المنافقون : ١ . وصفة الكذب هي التي تحرّك من يتحرّى الحقيقة للتثبت ، وهي التي تدفع به إلى رفض المعلومة و النبأ الذي تنشره هذه الجهة ، لما يترتب عليه من أداء مخالف للواقع ، فمن يبنى أفعاله و مواقفه على معلومات كاذبة فبالضرورة سينتهي للنتائج الكاذبة و المخالفة للواقع ، وهذا هو الفشل بعينه ، و هو التأخر والتخلف .

و لذلك فإن الله عز وجل يقول محذراً من أن يمثّل الإنسان لما يقوله المنافقون ، بأن لا يحولوا المعلومات التي تنبعث منهم إلى أدوات لصناعة الفكرة أو الفعل : ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب : ٤٨ .

علامات يعرف بها المنافق

من المسائل المهمة في هذه الجهة الإعلامية التي تجسدها

صفة النفاق هي أنها تقوم بدورها من داخل المجتمع الإسلامي ، بل وهي جزء منه وتحاول أن تتلون بلونه، فينبغي أن نتعرف على العلامات المائزة ، لكي نقوم بتشخيصه على نحو الدقة، و من تلك الصفات وهي التي يتصف بها المنافق هو أنه :
أ / لا يتحمل الأذى في سبيل الله.

قال تعالى : ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الأحزاب : ١١، ١٢. فلا تجدهم يصبرون على الأذى في جنب الله ، و سرعان ما ينفصلون و يتبرأون من تلك الحالة التي يحاولون أن يكونوا عليها ، وهي الاندماج في المجتمع ليكونوا كسائر الأفراد.

ب / يلجأون إلى المصلحة و المكاسب من النصر مع فرارهم من الصعوبات.

وذلك في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي

صُدُورِ الْعَالَمِينَ. وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠﴾
العنكبوت : ١٠ ، ١١ . فهذه صفة أخرى تكتشف عبر منطقهم
في التعامل مع الصعوبات ، فإن الإنسان المؤمن يجعل عذاب
الله مانعاً له من التجاوز ، و المنافق يسحب هذا المنطق ليجعل
فتنة الناس مانعة له من أداء دوره في حالة الأذى ، و عندما يهبط
النصر من عند الله على المؤمنين ، فإنه يواصل منطق المغلوط ،
ليدّعي أنه مع المؤمنين و يبرر موقفه السابق بأنه نابع من مصلحة
و نية خير .

ج / ديدنهم الاستهزاء و السخرية، خصوصاً من الله و الرسول
و آيات الله .

قال تعالى : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ .
وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ التوبة : ٦٤ ، ٦٥

ويسخرون من المؤمنين عندما يفعلون الخير ، يقول
تعالى عن المنافقين : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿التوبة : ٧٩﴾
د / لا يتخذون من حكم الله حكماً تطبيقياً.

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا
بَعِيدًا. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أُنزِلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ
الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا. فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا
وَتَوْفِيقًا ﴿النساء : ٦٠-٦٢﴾ فهم لا يتخذون من حكم الله
حكماً تطبيقياً ، ويتظاهرون بالإيمان ، و يرجعون في محاكماتهم
وفصل دعواهم إلى الطغاة و يبررون ذلك بأنهم يقومون بعملية
توفيقية، بين مقاصدهم و بين ضرورات الواقع ، لكي يقنعوا
المؤمنين بأن موقفهم له تبرير ديني ، و هو ليس كذلك .

هـ / أعمالهم ريائية و مظهرية ، و يتناقلون عن العبادات .
قال تعالى عنهم : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ النساء : ١٤٢ . وهذه المظاهر الخارجية ما هي إلا افرازات حالة النفاق ذاتها التي محلها القلب ، فتتجسد في الواقع على شكل الثقل في العبادات و التي هي هدف خلق الإنسان و هي التي تربط بين العبد و ربه ، و لأن للعبادات تلك الأهمية في أن يكون الإنسان متصلاً بالله فالمنافق يلجأ للتظاهر بأنه يؤديها أمام المجتمع ، لكي يحسب منه و بالتالي فإن رسالته التي يريد بثها ستلقى طريقها نحو القبول الاجتماعي .

و/ يخلفون الوعد و العهد ، و يمارسون البخل .

يقول تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ التوبة : ٧٥-٧٧ ، ومن الصفات التي تكون ظاهرة عند المنافق هي أنه لا يفي بعهد أو وعد ، خصوصاً فيما يرتبط بالمعاملات المالية ، بل و لا يلتزم بأداء الحقوق الالهية عليه كالصدقات و الزكاة و الخمس .

ز/ يأمرُونَ بالمنكر وينهونَ عن المعروف .

خلافاً للقاعدة التي سنّها الله عز وجل للمؤمنين بأن أمرهم بأن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فإن المنافقين على النقيض من ذلك يقول تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ التوبة : ٦٧ .

فلاحظ في صفات المنافقين أمرين مهمين يتصلان

بالعمل الإعلامي ، هما :

الأمر الأول : أنهم غير صادقين ، ويمارسون الكذب و الافتراء ، وهذا ما يتجنبه الإنسان المؤمن الذي يريد لأفكاره و مواقفه أن تؤسس على قاعدة متينة ، فالمعلومة هي الانطلاقة لتأسيس الفكرة ، و عندما تكون الانطلاقة خاطئة ، فلا شك أن النتيجة ستكون كذلك .

الأمر الثاني : أنهم لا يكتفون ببث المعلومات الخاطئة والكاذبة ، بل يسعون لرسم الثقافة و تكوينها و بث ثقافة مناقضة للقيم

الإسلامية ، حيث يقلبون المعادلة التي تقول ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران : ١١٠ ، فيأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف ، وهذه العملية هي صياغة للثقافة ، و هو الأمر الأخطر .

٢ / المصداق الآخر للفاسق هو الكفار من أهل الكتاب .

و من المصدايق التي تنتج عن الفاسق ، و هي الجهة التي تقوم بالعمل الإعلامي المضلل و الخاطئ ، هم فئة من الكفار من أهل الكتاب ، و بالطبع فإننا لا نقصد بذلك جميع أهل الكتاب ، لأن فيهم من يتصف بصفة الصدق و الأمانة ، يقول عنهم الله عز وجل : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران : ٧٥ . فلسنا بصدد تأسيس

قاعدة تعم أهل الكتاب ، وإنما نبين أن مصداقاً من مصاديق الفاسق الذي يمثل جهة إعلامية مضللة ، يتجسد في مجموعة من أهل الكتاب لهم مآرب تتناسب مع انتمائهم العقيدي ، كما سيتضح لنا من خلال تتابع الآيات القرآنية.

يقول تعالى موضحاً مصداقاً من مصاديق الفاسق وهو الذي نقرأه في آية التثبيت أنه مصدر إعلامي ينبغي الحذر منه ، يقول جل شأنه : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة : ٤٧

فمن لم يحكم بما أنزل الله هم الفاسقون ، وأولئك هم الكفار كما هي معطيات آية أخرى حيث يقول تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة : ٤٤

وصفة الكفر تشمل جميع من ينكر الله ومن يتخذ معه شريكاً ، وأن أهل الكتاب ، هم المصداق الأجل ، حيث يقول عز وجل : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية ١٧ والآية ٧٢ من سورة المائدة (مكررة).

و كذلك قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ

ثَلَاثَةٌ ﴿٧٣﴾ / المائدة . وهم المسيحيون ويتبعهم اليهود ، لأنهم أهل كتاب ، بل هم أشد عداوة مع المتعصبين من المسيحيين ، الذين تنكروا للتعاليم المسيحية ، كالعلم و الزهد و التواضع للحق .. يقول تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا اليهود والذين أشركوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مودةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ . المائدة / ٨٢

لماذا الحذر؟

قال تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ السجدة : ١٨ ، فالإنسان غير المؤمن ينبغي أن نحذر و نتبين من تصريحاته و إصداره للمعلومات ، و إذا أردنا أن نعرف سبب الحذر من هذه المصادر فعلياً أن نعرف مواصفات الضد ، و هو المؤمن الذي يردعه إيمانه عن قول الكذب ، و يدفعه لقول الصدق في الحديث ، هو ذلك الذي عبّرت عنه الآيات من سورة الحجرات حيث قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

أَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ الحجرات : ١٥ وصفت
الآية المؤمنين بالصادقين ، لأنهم يمتلكون إيماناً يحفزهم للصدق ،
و يدفعهم لقول الحقائق .

فإن من يشيع الأكاذيب مع الذي يشيع الحقائق (لا
يستوون) ، فلا يمكن أن نساوي بين المؤمن ، و بين غيره في
استقبال الأنباء . وهذا هو داعي الحذر الذي يفرضي لضرورة
التبين من حقيقة ما تبثه تلك الجهات الإعلامية .

العلاقة بين المنافق والمشرک

بعد أن عرفنا ان مفهوم الفاسق واسع بحيث يشتمل على
الكثير من الجهات الإعلامية ، التي ينبغي أن نتبين مما تأتي به من
معلومات ، وقد تمثل في المنافقين ، و الكفار من أهل الكتاب .
ففي التصنيف يمكن أن نصنف جهتين إعلاميتين هما
اللتان تقومان بنفس الفعل ، فما هي العلاقة التي تجمع تلك
الجهتين الإعلاميتين ؟
الجهة الأولى : المشركون .

الجهة الثانية : المنافقون.

نلاحظ أن الجهتين بالنسبة للموقعية من المسلمين تختلفان ، إذ المنافق يعيش في العمق المسلم أي في المجتمع الإسلامي ، و يدعي أنه ينتسب إليه ، و المشرك يكون بعيداً و مستقلاً ، حيث له معتقداته المغايرة ، فهو يعتقد بالمسيحية وأن الله ثالث ثلاثة ، ولكن العمل و الهدف متحد، وهم الذين يمتلكون في العصر الراهن زمام الإعلام ، حيث يقومون بتوجيهه نحو ما يريدون .

والعلاقة تكمن في التالي :

١ / المنافق تابع للمشرك.

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِغْتَهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ النساء : ١٣٩ . إن المنافق لا يشكل استقلالية فكرية ، و لا حتى عملية ، فهو جهة تابعة لجهة أخرى أكبر و أقوى منه و هي جهة الكافرين ، و لذلك فإن السياسات بعد ذلك ستكون متشابهة و ذات أصول متحدة ، و لكن بمسميات مختلفة تقتضيها طبيعة

المكان.

٢ / المنافقون يرون أن الكفار عندهم العزة.

فالآية السابقة تبين أن المنافقين وهم الذين يدعون
الإلتواء للمجتمع الإسلامي يرون أن العزة عند الكافرين ، و
لذلك فإنهم يلجأون لإكتسابها منهم ، ووفق ألياتهم التي يدعون
أنها جعلتهم يكونون أعزّة و متقدمين ، فهم (يبتغونها) عندهم ،
ويتخذونهم أولياء ، و لا يبتغون العزّة من الله عز وجل ، ولا
يكتفون بذلك بل يلجأون لإتهام الثقافة الإسلامية و الإلهية
بأنها السبب في الانحطاط و الذلة للمسلمين ، يقول تعالى عن
المنافقين : ﴿ يَقُولُونَ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا
الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ المنافقون : ٨ ، ٩ .

من هنا ستكون الإسقاطات واضحة للآيات القرآنية
على الواقع الراهن ، نترك للقارئ أن يطابق بين الحقائق القرآنية

و الواقع الخارجي .

و من خلال هذا التزاوج بين الآيات القرآنية ، يمكن أن
نطلق بمجموعة من القواعد العامة لفهم المسألة الإعلامية ، و
هي تمثل مدخل أولي لإستنتاج السياسات الإعلامية و المناهج
التي يتبعها الإعلام المظلل للإشاعة أنباء كاذبة و الترويج لثقافة
نقيضة للثقافة الإسلامية ، و هي بدورها تحتاج إلى مزيد بحث

و جهد .

المؤلف

محمود الموسوي

بني جمرة / البحرين

www.mosawy.org

info@mosawy.org

الفهرس

المقدمة.....	٧
١	
القرآن و حرية المجتمع.. إشكاليات الواقع المعاصر	
(التدين مثلاً).....	١١
الحرية المطلقة.....	١٥
كبت الحرية.....	١٨
المجتمع الحر.....	٢٠

٢٥	اشكاليات الواقع المعاصر
٣٠	الحرية الدينية
٣٣	مسؤولية التبليغ
٣٦	الهداية شأن إلهي
٤٠	الحرية الدينية لا تعني التصويب

٢

إدارة الخلافات في المجتمعات الإيمانية

٤٣	من منظور قرآني
٤٧	تكوين المجتمع الإيماني
٥٠	أصل الخلافات
٥٤	ممارسة الإصلاح
٥٥	منهج الإصلاح الاجتماعي
٥٨	التأسيس الفكري للإصلاح
٦٠	أخلاقيات التعامل في المجتمع الإيماني
٦١	نظرة الإنسان لنفسه
٦٣	نظرة الإنسان للآخر
٦٦	التخلص من الخلافات من شروط الانفتاح
٦٧	الخلاصة

٣

التدين الشخصي في مواجهة تأثيرات العولمة	
قراءة قرآنية.....	٦٩
تحول الشخصية.....	٧٢
التدين الشخصي ومضامين العولمة.....	٧٤
أساليب التأثير على المستوى الشخصي.....	٧٦
التلاعب بالأذواق.....	٧٦
تمثيلات التحديات في الواقع اليوم.....	٨١
١ / الإعلام الشهواني.....	٨١
٢ / إشاعة النمط الغربي.....	٨٢
٣ / الموضة.....	٨٣
٤ / الشباب والنساء.....	٨٣
٥ / الأطفال رهان آخر.....	٨٤
معالجة مختصرة.....	٨٥

٤

المحتوى الثقافي في الخطاب الإسلامي المعاصر معالجة	
قرآنية.....	٨٧
الثقافة الجماهيرية وأهمية دراستها.....	٩٤
إشكالية المحتوى الثقافي.....	٩٧
الحكمة محتوى الثقافة الجماهيرية.....	١٠٠
١ / توجه الشباب نحو العلم الديني.....	١٠٢

٢ /	تطوير	أساليب	الإعلام.....
١٠٢			
٣ /	نشر	الإسلام	على نطاق واسع
١٠٣			

٥

رؤية قرآنية في مسار الحضارات .	١٠٩
مقومات النهوض الحضاري....	١١٢
١ / العلاقة الأخوية بين المصلح و المجتمع	١١٣
٢ / وضوح الرؤية و ضمانة الاستمرار.....	١١٥
٣ / مبدئية الممارسة	١١٧
ظاهرة الإنبهار الحضاري.....	١١٨
العودة إلى الحقائق	١٢٠
المسؤولية الحضارية.....	١٢٤
الدخول في دائرة المفسدين.....	١٢٥

١٢٦.....	قياس مستوى المجتمعات
١٢٨.....	طريق النجاة
١٣٠.....	الانهيار الحضاري
١٣١.....	الإسراف الحضاري
١٣٣.....	انبهار يتجاوز العقل
١٣٤.....	الامتحان الواقعي

٦

حوار الحضارات وجاهزية التفعيل

١٣٧.....	مداخل قرآنية
١٤١.....	ماهية الحوار
١٤٩.....	المدخل الأول
١٥٠.....	المدخل الثاني
١٥١.....	المدخل الثالث
١٥١.....	الملاحم القرآنية لمداخل الحوار
١٥١.....	المدخل الثالث
١٥١.....	الملاحم القرآنية لمداخل الحوار

٧

رؤية قرآنية في الإعلام والثقافة

مدخل تأسيسي	١٥٥
من هو الفاسق؟	١٥٩
١ / الفاسق هو المنافق	١٦٠
علامات يعرف بها المنافق	١٦٢
٢ / المصداق الآخر للفاسق هو الكفار من أهل الكتاب	١٦٨
لماذا الحذر؟	١٧٠
العلاقة بين المنافق والمشرک	١٧١
١ / المنافق تابع للمشرک	١٧٢
٢ / المنافقون يرون أن الکفار عندهم العزة	١٧٢

